

## معاني أبنية (الفعل/الخبر) في الجملة العربية الخبرية البسيطة من منظور نظرية الفاعل السحري

### المقدمة:

يتناول هذا البحث موضوعاً أغفل النحو العربي جانباً أساسياً منه، وقد هيأت لدراسته منهجية جديدة سمّيتها (نظرية الفاعل السحري) تسمية مجازية قوامها (الجزء ويراد به الكل)، نظراً لأهمية هذا المصطلح الإجرائي في حلّ كثير من مشكلات نحو العربية الفصيحة التي أثّرت في إعراب الجمل القرآنية، ومنها مشكلة هذا البحث.

ويضمّ مصطلح (الفاعل السحري) مفهوماً نحوياً مهماً أعانتني على اكتشاف طبيعته وبيان وظائفه المعنوية المناهج الألسنية الحديثة، إذ سلّط المنهج التاريخي والمقارن إلى حدّ ما الضوء على إحدى مراحل تطور الجملة العربية، وهي تتخلّى عن فعل الكينونة لفظاً ملقياً معنييه النحويين: (الزمن، وضمير الخبر الرابط) على عاتق خبر الجملة، ومن ذلك الحين اختلفت الجملة الخبرية العربية عن جملة اللغة الانكليزية الاسمية الوحيدة من حيث عدد عناصرها الظاهرة وترتيب هذه العناصر بالشكل الآتي: (الاسم + الفعل المساعد + الخبر).

وقد أساء النحو التقليدي قديمه وحديثه فهم هذا الضمير النكرة الرابط المتضمن في خبر الجملة، ففسّر على أنّه (فاعل / معرفة)، يظهر تارةً فينتج مشكلة لغة (أكلوني البراغيث)، ويختفي تارةً أخرى فينتج لبساً يغمض فيه تمييز المسند إليه (الاسم المعرفة) من المسند (الفعل النكرة)، ولاسيّما إذا جاء بهيأة المشتقات المستمرة الزمن ونحوها

تومان غازي الخفاجي\*

أو نفسي)، يليه المسار التأويلي الذي يمثل سقف هذا الأنموذج، لتتحد المسارات جميعاً متعلقة بتجليات الإشارات اللغوية داخل الجملة بوصفها أسلوباً مختاراً من بين الأساليب المستقرة التي توفرها اللغة لمستعملها للتعبير البلاغي / الإبلاغي عن مواقع المعنى في النفس الذي تقابله مواقع أسلوبية عمودية العمق مختلفة تظهر في الصيغ المستمرة الزمن المختلفة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على مبحثين:

## المبحث الأول

### مكونات الجملة الخبرية ومعانيها الوظيفية وأشكالها:

#### ١. مكونات الجملة الخبرية:

كثيراً ما تقع مقارنة الجملة بوصفها بنية إسنادية ثنائية تعبّر عن علاقة بين مسند إليه (اسم / معرفة) أو موضوع الكلام، ومسند (فعل / نكرة) أو المحمول بلغة المنطق؛ لأنّها من ناحية بنيوية مجردة تعدّ بنية علائقية مرتّبة في الذهن من قبل، وإذا تخلّينا عن الفصل الاصطناعي بين التركيب العلائقي والمجال الدلالي / التداولي يصبح من غير الممكن التفكير في الجملة بوصفها حداً، إذ تصبح جزءاً من الخطاب، أي أنّها وصلة لسانية تؤلّف نسقاً نحويّاً وإعلاميّاً يحدّد معالمه المقام<sup>(١)</sup>؛ لهذا أدخل سيويوه (ت ١٨٠ هـ) عزيمة المتكلّم في إنشائها، قال: "وهما [المسند إليه والمسند] ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً... وهو قولك:

التي تؤدي وظيفة الفعل وترفع فاعلاً بعدها في أنموذج الجملة الفعلية، أو تؤدي وظيفة الخبر في أنموذج الجملة الاسمية، وهذا الضمير هو الذي اصطلحت عليه اسم: (الفاعل السحري)؛ لتمييزه من (الفاعل المسحور) المتضمن في (الفعل / الخبر) المحدد الزمن ب (الماضي، أو المضارع، أو المستقبل).

وبحذف الفعل المساعد في جملة اللغة العربية لفظاً

وهذا الضمير هو الذي اصطلحت عليه اسم:  
(الفاعل السحري)؛ لتمييزه من (الفاعل المسحور) المتضمن في (الفعل / الخبر) المحدد الزمن ب (الماضي، أو المضارع، أو المستقبل)

أصبح (الفعل / الخبر) كلمة غنيّة بالمعاني النحوية منها: (الزمن، والربط العلائقي)، فضلاً عن المعنى الدلالي المعجمي، والمعنى الموقعي فهو (فعل) في الجملة الفعلية، وهو (خبر) في الجملة الاسمية. ويأتي بأشكال صرفية مختلفة تندرج في قائمة (صرفية / نحوية) تمثل مقدرة المتكلم الأم على إبداع عدد من الصيغ التي تؤدي وظيفة المسند: (الفعل / الخبر) مهما كان شكله اللغوي.

وقد استعملت تراتبية مفهومية منهجية لدراسة هذه القائمة التي لم تُدرس من قبل وهي تؤدي وظيفتها التواصلية بوصفها وصلة لسانية (نحوية / إعلامية)؛ يؤلّف المسار البنيوي الشكلي المحض قاعدتها التي ينطلق منها البحث، ثم يليه المسار الدلالي (اجتماعي،

## تومان غازي الخفاجي: معانيب أبنية (الفعل/الخبر) في الجملة العربية الخبرية البسيطة

ت	التأليف	وظائف العناصر	خصائص العناصر	نوع الجملة
٢-	ركض زيد	فعل + فعل	نكرة + نكرة	جملة فعلية
٣-	زيد عمرو	اسم + اسم	معرفة + معرفة	×××
٤-	عمرو جاء	اسم + فعل	معرفة + نكرة	جملة اسمية

والنتائج هي:

- أولاً: لا تحصل علاقة إسنادية مفيدة بين اسمين؛ لأنَّ الاسمين كليهما معرفة عند طرفي الاتصال، ولا بين فعلين؛ لأنَّ الفعلين كليهما نكرة عند طرفي الاتصال.
- ثانياً: تنعقد العلاقة المفيدة بين (فعل + اسم)، أو (اسم + فعل) بعكس الترتيب، بدليل قبولنا بفائدة الجمليتين: (ركض زيد)، و(عمرو جاء). ومن هنا يمكن أن نستنتج أن مكونات الجملة الخبرية البسيطة هي:
- الاسم (الموضوع المُتحدَّث عنه).
- (الفعل/الخبر): (حدث/أو وصف).
- الرابط الضمني بين الاسم والفعل، وهو (فعل

الفاعل السحري: هو ضمير خبر نكرة متضمن في الصيغ المستمرة الزمن، وظيفته ربط (الفعل/الخبر) بالاسم (الفاعل/المبتدأ)، يُنجز الحدث بطرفة عين؛ لأنَّ زمنه يتمدد شاملاً كلَّ الأزمنة حال أداء التواصل باستعماله.

عبدُ الله أخوكَ، وهذا أخوكَ، ومثل ذلك قولك: يذهبُ زيدٌ<sup>(٢)</sup>

ووسَّع الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) المقام ليشتمل على المخاطب فضلاً عن المتكلِّم، لتفسير إمكان إنتاج الجمل الخبرية بكلمة واحدة؛ وذلك قوله: "وإنَّ أردت أن تستحكم معرفة ذلك في نفسك، فانظر إليك إذا قيل لك: ما فعل زيدٌ؟، فقلت: خرج، هل يُتصوَّر أن يقع في خلدك من (خرج) معنى من دون أن يُنوى فيه ضمير (زيد)؟، وهل تكون إنَّ أنتَ زعمتَ أنَّك لم تنو ذلك إلا مُخرِجاً نفسك إلى الهذيان؟!"<sup>(٣)</sup>

والسؤال: أتوجدُ خصائص نحويَّة معيَّنة للركنين الظاهريين المكوَّنين للجُمْل يؤولانها للانعقاد؟ الجواب نعم. ويُعرف ذلك من الأنموذج الذي يُصوِّر احتمالات تعالق الاسمين المعرفتين: (زيدٌ، وعمرو) عند طرفي الاتصال: (المتكلِّم والمخاطب)، والفعلين النكرتين: (جاء، ركض) مثلاً، بوضعها على رءوس مربع، وبإيصال عنصريين عنصريين بدءاً من أحد الرءوس واللف باتجاه عكس عقرب الساعة لنحصل على الاحتمالات الآتية:

جاء ← ركض  
↑  
عمرو → زيد

ت	التأليف	وظائف العناصر	خصائص العناصر	نوع الجملة
١-	جاء ركض	فعل + فعل	نكرة + نكرة	×××

الانكليزية (The pen is red) (القلم يكون أحمر)،  
ويتضح ذلك بالآتي:

تطور الجملة	اسم / مبتدأ	فعل مساعد	خبر
الجملة العربية القديمة	أَنْتَ	تَكُونُ	ماجدٌ
الجملة الانكليزية	The pen	Is	red
الجملة العربية الحديثة	أَنْتَ	xxx	ماجدٌ
الترجمة العربية الحديثة	القلمُ	xxx	أحمرُ

ويمكن كشف المعاني الوظيفية<sup>(٦)</sup> للفعل المساعد المحذوف من التأمل فيه، فهو يؤدي وظيفتين نحويتين بمكونيه:

الأول: مكوّن ذو طبيعة فعلية، وهو الزمن المحدد بـ(الماضي أو المضارع أو المستقبل)، في نحو (كان، يكون، سيكون)، والزمن المستمر الشامل في نحو (كائن).

والآخر: مكوّن ذو طبيعة مزدوجة (اسمية/ فعلية): فأما طبيعته الاسمية؛ فآتية من كونه (ضمير)، يشبه شكل الضمائر التي تأتي للاقتصاد اللغوي: (جاء زيدٌ فسلمتُ عليه) بدلا من (فسلمتُ على زيد).

وأما طبيعته الفعلية؛ فلاّنه (نكرة) يختلف عن الضمير الذي يعود على اسم معرفة فيكون معرفة بتلك العائدية؛ لذلك أصبح (الضمير النكرة) مؤهلا لأداء وظيفة ربط

الكيّونة)، الذي تخلّت عن لفظه العربية، إلا في استعمالات نادرة.

ثالثا: نلاحظ من مواقع ركني الجملتين المقبولتين أنّها غير محفوظة بموقع محدد، فهما يتبادلان المواقع لإنتاج نوعين متميزين من الجمل: الجمل الفعلية؛ وتُنتج على منوال البنية التحتية العميقة المجردة في الذهن<sup>(٤)</sup>: (فعل نكرة + اسم / فاعل معرفة)، ومثالها السطحيّ القريب: (جاء زيدٌ)، وجملة اسمية تُنتج على منوال البنية العميقة: (اسم / مبتدأ معرفة + فعل / خبر نكرة)، ومثالها القريب: (زيدٌ جاء).

والرابط بين الركنين الظاهرين محذوف لفظاً، وهو فعل الكيّنونة الذي تخلّت عنه العربية وكانت جملتها مشابهة للجمل الاسمية الوحيدة في الانكليزية في عدد عناصرها وترتيبها: (الاسم / مبتدأ + الفعل المساعد + الخبر)، ومثالها القديم الشاهد الآتي:

أَنْتَ تَكُونُ ماجدٌ نبيلٌ  
إذا تهبّ شمألٌ بليلٌ<sup>(٥)</sup>  
فجملة العربية القديمة: (أنتَ تكونُ ماجدٌ) كالجملة

وعليه أخطأ النحاة التقليديون قديماً  
وحديثاً في تعريف الفعل تعريفاً لسنياً  
وعُرفَ بلغة المنطق بأنّه: ما دلّ على معنى  
في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة  
(الماضي، المضارع، والمستقبل)

ربط (الأفعال/الأخبار) ب(الاسم/المعرفة). وُسِّمَ مسحوراً؛ لأنه يَوْمِي ولا يُنْجِزُ الحدث إلا بمزاولة حركة بزمن محدد.

وتسَمَّى الأفعال المتقدمة أخباراً إذا تأخرت في الجملة الاسمية، ويصبح فاعل الجملة الفعلية مبتدأ لتصدّره الجملة؛ وهكذا تخصص لدينا أربعة مصطلحات لتمييز الجملة الاسمية من الفعلية. أما خصائص (الفاعل/المبتدأ) النحوية فإنه يكون معرفة يُحدد مرجعه بنفسه؛ الذي قد يكون محسوساً: (زيد)، أو معنوياً: (العِلْمُ)، أو خرافياً: (غول) مثلاً. ويؤدي في الجملة الاسمية وظيفتين: (مبتدأ) إسنادياً، فاعلاً دلاليّاً. ومزدوجات المعاني النحوية: (المبتدأ/الفاعل)، أو (الفاعل/المنفعل) من مميزات نظرية الفاعل السحري، ففي جملة: (انكسر الزجاج)، (الزجاج) فاعلٌ من حيث الإسناد، منفعلٌ (منكسر) من حيث الدلالة. وهذه المزدوجات إن تُرى معقّدة أول وهلة، إلا أن لهذا التعقيد ثمرة كبيرة، تكمن في إبقاء الجمل بسيطة، يسهل معها تمييز خصائص عناصرها الأساسية ووظائفها.

وتلك التقنية المنهجية لم يستوعبها النحو التقليدي على الرغم من أنها توافق طبيعة اللغة؛ المؤلف من ذخيرة لفظية محدودة للتعبير عن ذخيرة معنوية غير محدودة، وإذا خالفت هذه الطبيعة كلّت أبنائها المستحيل بحفظ عدد لا يحصى من الألفاظ تقابل المعاني اللامتناهية، فالمبتدأ يؤدي وظيفتين: (إسنادية/دلالية)، بخلاف النحاة التقليديين الذين عقّدوا الجملة الاسمية، بتقديرهم فاعلاً للفعل المتأخر المحدد الزمن، نحو:

المسند (الفعل/الخبر) بالمسند إليه (الفاعل/المبتدأ). وقد شعر النحاة القدامى<sup>(٧)</sup> بوجود هذا الضمير في (الفعل/الخبر) مهما كان شكله الصرفي. وعلى هذا الأساس صاروا غيّبوا بالمعاني الآتية:

أ المعاني النحوية وهي:

أولاً: معنى الزمن: (محدد، ومستمر).

ثانياً: المعنى العلائقي الناتج من ربط ركني الجملة الظاهرين. وُسِّمَ بـ(الحكم، أو الخبر)، الذي يمثل إضافة معرفة جديدة إلى المخاطب؛ ذلك أن المدركات المفردة لا تضيف شيئاً، فقولنا: (تفاحة) ليس بفكرة، وقولنا: (حمراء) ليس بفكرة أيضاً، ولكن قولنا: (تفاحة حمراء) يمثل وحدة فكرية تعبر عن حكم قد يخطئ وقد يصيب.<sup>(٨)</sup>

ب المعني المعجمي المُفسّرة: الذي يُعطي الخبر هويته الخبرية الكاملة القابلة للإثبات والنفي.

## ٢. وظائف مكونات الجملة:

بحسب الزمن المتضمن في (الفعل/الخبر): المُحدّد أو المستمر، يمكن تبيان نوعين من الضمائر النكرة الرابطة المتضمنة فيهما؛ لتكوين جملة مستوفية لشروطها الثلاثة: (الاسم + الضمير الرابط + والفعل). ويكون الضمير الرابط (مسحوراً) في (الفعل/الخبر) المحدد الزمن، و(سحرياً) فيهما إذا لم يحدد زمنهما، وتفصيل ذلك في الآتي:

أ الفاعل المسحور:

وهو ضمير خبر نكرة متضمن في (الأفعال/الأخبار) المحددة الزمن: (قَدِمَ، يقدّم، سيقدم)، وظيفته

وهكذا ولدت فرضية جعل ضمير الخبر النكرة فاعلاً مشكلة عويصة أربكتِ الدرسَ النحوي، وبدلاً من هذا الإرباك جاءت نظرية الفاعل السحري بالحلّ الناجع، بكشفها عن طبيعة هذا الضمير وبيان وظيفته النحوية وسرّ الاصطلاح عليه بمصطلح: (الفاعل المسحور) مع (الأفعال / الأخبار) المحددة الزمن، نحو (قام)، إذ يوحى تحليله بثلاثة معانٍ هي:

- حدث القيام.
- زمن القيام محدد بـ (الماضي، المضارع، المستقبل)؛ (قام، يقوم، سيقوم).
- فاعل القيام الخفي النكرة؛ لأنّه متضمن في صيغة (الفعل / الخبر)، وهو يومئ ولا يُنجزُ القدوم إلا بمزاولة حركة تتوقف عند تخوم الزمن المحدد.

فالنقد وحده لمثل هذه العلوم يخضع  
للقواعد التي صاغت لها الأمثال الشعبية  
المحافظة على تلك النظم وإن كانت  
مبنية على أساطير أو أوهام نحو: (الكذب  
المسقط خير من الصدق المخربط).

ب الفاعل السحري:  
سمّى الكوفيون (الأفعال / الأخبار) المستمرة الزمن،  
التي تؤدّي وظيفة الفعل وترفع فاعلاً بـ (أشباه الأفعال)  
(<sup>١١</sup>)، ونحن نسمّيها أفعالاً بحكم وظيفتها.  
أمّا من سمّاها (أسماء) فقد وقع في خطأ اصطلاحى

(زيدٌ/ قام [هو])، ولم يقدّروه في المشتقات غير مبالين  
بالاضطراب الحاصل من اختلاط المقدّر مع ما يُظهره  
المتكلم في كلامه نحو قولنا: (زيدٌ/ قام هو)، بمعنى لا  
غيره.

يُعرب اِسم السراج (ت ٣١٦هـ) (هو) المقدّر في  
الجملة الأولى فاعلاً، وفي الجملة الثانية توكيداً، وربما  
حصل تناقضٌ من إظهار الضمير المتضمّن، فهو مع  
الفعل المحدّد الزمن المفرد فاعل مستترٌ وجوباً وعلينا  
أن نقدّره، ومع المثنى والجمع ظاهرٌ وجوباً بعلاماتٍ  
محسوسة، كالآتي:

الجملة الاسمية	ضمير الخبر
زيدٌ يقومُ	xxx
- الزيدان قاما.	ألف الاثنين
- الزيدون قاموا.	واو الجماعة

أما في الجملة الفعلية، فالضمير لا يظهر في كلّ  
الأحوال: «في واحده ولا في تثنيته ولا في جمعه» (<sup>٩</sup>)  
هذه الظاهرة ليست لها علاقة بأركان الجملة الثلاثة:  
(الاسم والفعل) والرابط بينهما النكرة الذي لا يمكن  
عدّه فاعلاً أبداً، فضلاً عن أنّه متضمّن لا يظهر في كلّ  
الأحوال؛ لأنّ إظهاره مربكٌ. وما بحثه ابن السراج هو  
ظاهرة المطابقة بالعدد بين الفعل وفاعله، التي هجرتها  
العربية في الجملة الفعلية، وبقيت منها شواهد فصيحة  
عُرِفَت بـ (لغة أكلوني البراغيث)، (<sup>١٠</sup>) القائلة بوجود  
فاعلين في الجملة.

انسحبت آثاره السيئة على تصنيف الجمل الخبرية. ورأت نظرية الفاعل السحري أن لا بأس في إبقاء عدد من المصطلحات القديمة كمصطلحات ثانوية تفيدنا في وصف أنواع (الفعل / الخبر) المستمر الزمن، كأن نقول عن (قائم) في جملة: (قائمٌ زيدٌ) إنه فعلٌ مستمر الزمن جاء بهيأة اسم الفاعل، فاعله الدلالي (زيدٌ). ونَصِفُ (في الدار) في جملة: (في الدار زيدٌ)، بأنه فعلٌ بمعنى (مُستقر)، مستمر الزمن جاء بهيأة جارٍ ومجرور.

وتتضمن هذه الفصيحة النحوية ثلاثة معانٍ، تتضح من تحليل: (قائم) هي:

- حدث القيام.

- زمن القيام: (مستمرٌ مستغرقٌ كلَّ الأزمنة).

- فاعل القيام الخفي؛ لأنه متضمن في صيغة (الفعل / الخبر)، وهو يُنجزُ حدث القيام بطريقة عينٍ شاملاً كلَّ الأزمنة، حال نطقنا لفظه (قائم). وعليه يمكن إجمال تعريف الفاعل السحري بالآتي:

الفاعل السحري: هو ضمير خبر نكرة متضمن في الصيغ المستمرة الزمن، وظيفته ربط (الفعل / الخبر) بالاسم (الفاعل / المبتدأ)، يُنجز الحدث بطريقة عين؛ لأنَّ زمنه يتمدد شاملاً كلَّ الأزمنة حال أداء التواصل باستعماله.

إنَّ دراسة اللغة بوصفها نظاماً مجرداً وإهمال وظيفتها ومقام المؤوّل هو الذي جعل التمييز بين الاسم والفعل صعباً ومغلوطاً؛ ذلك أنَّ (أفعال / أخبار) الجمل الخبرية الممكنة التي يُبدعها العربي الفصيح لم تأت واضحة كالوضوح الذي نجده في المحددة الزمن نحو: (جاء،

ويجيء، وسيجيء)، إذ جاء كثيرٌ منها بهيأة المشتقات أو الظروف أو الجوامد وغيرها، وهي أفعال مادامت تؤدّي وظيفة الفعل وتؤسس لإنتاج جمل فعلية إذا تقدّمت ورفعت فواعلَ بعدها، وتكون بنيتها منسوجة على منوال البنية العميقة المجردة في الذهن: (فعل + فاعل)، بفارق وحيد هو أنَّ المشتقات ونحوها مستمرة الزمن بخلاف الأفعال المحددة الزمن.

وقد أشار الكوفيون إلى هذين النوعين العامين من الأزمنة حين وصفوا اسم الفاعل بأنه (فعل دائم)،<sup>(١٢)</sup> لكن هيمنة لغة المنطق التي صنفَت الزمن بثلاثة أزمنة<sup>(١٣)</sup> بحسب حركة الفلك،<sup>(١٤)</sup> حالت دون اعتماد هذا الزمن المهم. وعليه أخطأ النحاة التقليديون قديماً وحديثاً في تعريف الفعل تعريفاً ألسنياً وعُرفَ بلغة المنطق بأنه: ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة (الماضي، المضارع، والمستقبل)<sup>(١٥)</sup>، متجاهلين اعتراض الكوفيين وإشارة سيوييه إلى الزمن المستمر الموضحة بالتفصيل الآتي:<sup>(١٦)</sup>

الوظيفة	مثاله	الزمن
بنية تدل على الحدث المحض (الذهاب) + زمن الماضي	ذهب	ما بني من أحداث الأسماء لما مضى



الثانية جملة اسمية بقوله: «أما تمثيله للجملة الاسمية بقوله: (قائم الزيدان) فغير موفق؛ لأنها ليست بالجملة الاسمية في الواقع؛ لأن المسند إليه فيها فاعل لا مبتدأ، وإن قيل في إعرابه: إنه فاعل سد مسد الخبر؛ لأن كونه فاعلاً ينفي أن تكون الجملة اسمية». (٢٢)

لكن المخزومي لم يأتِ ببديل يُصحح به المصطلحات الأساسية أولاً، ولم يضع قواعد عربية بديلة لتمييز الاسم من الفعل سهلة التطبيق ثانياً، بل اكتفى بالنقد وحده، والنقد وحده لا يزعم العلوم المغلوطة التي ترتبط بالنظم الاجتماعية والسياسية والدينية؛ مفضلة الخطأ المألوف على الصحيح غير المعروف. فالتنقد وحده لمثل هذه العلوم يخضع للقواعد التي صاغتها لنا الأمثال الشعبية المحافظة على تلك النظم وإن كانت مبنية على أساطير أو أوهام نحو: (الكذب المسفط خير من الصدق المخربط).

### ٣. أشكال (الفعل/الخبر):

إن حذف اللغة العربية للفعل المساعد الذي كان يُحدد موقع (الفعل/الخبر) في الجملة، وإباحتها لمتكلميهما بتغيير مواقع ركني الجملة الظاهرين، فضلاً عن مجيء (الفعل/الخبر) بأشكال مختلفة تلبس بأشكال الأسماء المعرفة، جعل التمييز بين اسم الجملة وفعلها صعباً جداً حتى خفي على كبار النحاة؛ لذا احتاج التمييز إلى طرائق علمية واضحة وسهلة، أهمها قاعدة الإحلال Commutation<sup>(٢٣)</sup> المبيّنة في الجدول الآتي:

الزمن	مثاله	الوظيفة
زمن الحدث الذي لم يقع	أذهب	وظيفة الأمر
زمن الحدث الذي يكون	يضرب/ يُضرب	وظيفة الخبر
زمن ما هو كائن ولم ينقطع	قائم <sup>(١٧)</sup>	وظيفة الخبر

لهذا أصرّ النحاة التقليديون بعد سيبويه على عدّ جملة: (قائم زيد) جملة اسمية، معتمدين على التمييز الشكلي المحض للكلمات الوارد في بيت الألفية الآتي: بالجرّ والتنوين والندا وال

ومُسند للاسم تمييزٌ حصل<sup>(٨١)</sup>

وصف الدكتور المخزومي هذا التمييز بأنّه ساذج،<sup>(١٩)</sup> وعلّق على عدّ ابن هشام (ت ٧٦١هـ) جملة: (هيهات العقيق)، وجملة: (قائم الزيدان) جملتين اسميتين بقوله: «فلا هو [هيهات] بالمنون، ولا بالمجرور ولا بالمنادى، ولا بالمتصل بـ(أل)، ولا بالمسند إليه أبداً، ويؤخذ عليه شيء آخر لا ينبغي لمثله أن يقع فيه، وهو أن (هيهات) في رأي مدرسة الكوفة فعل حقيقي كسائر الأفعال». (٢١)

وانتقد المخزومي ابن هشام أيضاً على عدّه الجملة



تومان غازي الكفاجي: معاني أبنية (الفعل / الخبر) في الجملة العربية الخيرية البسيطة

فعل (مسند)	فاعل (مسند إليه)	وصف المسند قديما	الزمن	التأويل الكاشف
قَدَمَ	زيدٌ	فعل ماضٍ	أفعال محددة الزمن	—
يَقْدُمُ	زيدٌ	فعل مضارع		—
سَيَقْدُمُ	زيدٌ	فعل مستقبل		—
قَادِمٌ	زيدٌ	اسم فاعل	أفعال غير محددة الزمن (مستمرة الزمن)	—
محمودٌ	زيدٌ	اسم مفعول		—
الأطولُ	زيدٌ	اسم تفضيل مطلق		—
نَجَّارٌ	زيدٌ	صيغة مبالغة		—
عَدْلٌ	زيدٌ	مصدر		—
تميميٌّ / مصريٌّ	زيدٌ	منسوب		بمعنى المفعول
هيهاتَ	السفرُ	اسم فعل (خالفة)		أي: (بُعْدٌ) إلى الأبد
سبعةٌ	أهلُ الكهفِ	معدودون		بمعنى المفعول
في الدارِ	زيدٌ	ظرف مكان		مستقر في مكان محدد
أمامَ الدارِ	زيدٌ	ظرف مكان		مستقر في مكان محدد
الساعةَ	الامتحانُ	ظرف زمان		مستقر في زمن محدد
منخلٌ	زيدٌ	اسم آلة		هاتكُ الأسرار
حجرٌ	قلبُ زيدٍ	جامد		قاسٍ

أنَّ خطأ النحو التقليدي الجاري تدريسه حتى اليوم، أنه قسَّم الفصائل النحوية خارج السياق الاستعمالي، أما نظرية الفاعل السحري فلا تقرُّ بأي تصنيف لها إلا خارج الكلام

وتنشأ الجملة الاسمية من وضع عناصر القائمة الثانية قبل عناصر القائمة الأولى، وهنا تختلف المصطلحات، فيصبح الفاعل (مبتدأ/ فاعل دلالي)، والفعل خبرًا. والجملة الاسمية تُتحفَّن باستعمالات لـ (الأخبار/ النكرات) لا تتمكّن من إنتاجها الجملة الفعلية، كالآتي:

هو مجرد تقنية للإدراك، وليس تدخلاً في صميم كلام المتكلم بما يُغيّر مقاصده، ويظهر ذلك في العمود الثالث من الجدول السابق.

ف(فاضلٌ، وزيدٌ) في القائمة الأولى اسمان لشخصين، وفي القائمة الثانية يصبحان من المشتقات المستمرة الزمن، وهي أفعال جاءت بهيأة: (اسم الفاعل، والمصدر).

أما عناصر قائمة الخبر الأخرى وهي: (أنتَ، وأُمُّ خالدٍ، وزيدٌ) فهي أخبارٌ نكرة في ذهن المخاطب، أي إنَّ مخاطبنا يجهل نفسه بأنه ثابت على ما هو عليه ولم يتغيّر، سواء كان ثبوته على حُسن خلق أم على سوءٍ، بحسب المقام.

وإنَّ الوحدة النحوية: (أم خالد) هي كنية (هند) التي يجهلها المخاطب، أي إنَّه يجهل كنية (هند) بهذه الكنية، فقلنا له: (هندُ/ تُكَنَّى أمَّ خالدٍ) و(تُكَنَّى) هو الفعل المساعد المحذوف الذي يدلنا على خبر الجملة الدلالي المراد إثباته أو نفيه: (تُكَنَّى أمَّ خالدٍ، أو لا تُكَنَّى أمَّ خالدٍ)، فالتنكير ليس في ذات لفظ (أم خالدٍ)، وإنَّما حصل بحدث التنكية، أي في عملية حمل هذه الكنية على (هند)، وكذلك عملية حمل تسمية (القائم) على الخبر (زيد) في الجملة الأخيرة، بمعنى أنَّ المخاطب يجهل اسم القائم أهو: (زيد، أم بكر، أم خالد، أم غير ذلك)، فأخبرناه باسم القائم بأنه يُسمَّى (زيداً)، فالتنكير وقع بحدث التسمية، المراد إثباته أو نفيه (يُسمَّى زيداً، أو لا يُسمَّى زيداً).

ويؤكد ما ذهبْتُ إليه تمييز الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)

مبتدأ/ اسم معرفة	خبر / فعل نكرة	تأويل الخبر بفعل واضح
فاضلٌ	فاضلٌ	اسم فاعلٍ مشتقٍ من فضل يفضل
زيدٌ	زيدٌ	مصدر من زاد يزيّد فهو زيد
أنتَ	أنتَ	أي: ثابتٌ على ما أنت عليه
هندٌ	أم خالدٍ	أي: تُكَنَّى أمَّ خالدٍ
القائمُ	زيدٌ	أي: يُسمَّى زيداً وليس بكراً

هذه الجمل التي يتساوى فيها شكلا الركنين الظاهرين تنكيراً وتعريفاً شكلياً، هي جمل اسمية دائماً؛ لأنَّها في مثل هذه الجمل خصصت العربية الموقع الأول للاسم المعرفة المبتدأ، وعلى وفق قاعدة الموقع نعرف أنَّ العنصر المتأخر (خبر / نكرة). والسؤال كيف أصبحت الألفاظ التي يبدو أنَّها أسماءٌ لاشكَّ في اسميّتها، أخباراً نكرة وهي: (أنتَ، وأُمُّ خالدٍ، وزيدٌ)!!؟

الجواب يكمنُ في قاعدة التواسم بين ركني الجملة المفيدة، ومفادها هو أنَّ الاسم (المبتدأ/ المعرفة)، يسمُّ العنصر المسند معه في إسناد مفيد بميسم (الخبرية والتنكير) والعكس بالعكس. ولغرض تقريب صورة التنكير ووظيفة الخبر نلجأ إلى التأويل النحوي، الذي

السامع بهما، ولا يكشف عن هذه الملازمة إلا المقام، بمعاودة التأويل الكاشف.

وقد ذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) هذه الظاهرة ولم يضع لنا أنموذجاً سهلاً فيه تمييز الاسم من الفعل، ولكنه كشف لنا تأويلاً يدعم فعلية العنصر المتأخر وتنكيره، وذلك قوله: «وأنت أنت، أي: وأنت المعروف بالكرم، وهم هم، أي: هم الذين أعرفهم بالشرِّ والمنكر لم يستحيلوا ولم يتغيروا. فلو لا هذه الأغراض وأنها مرادة معترضة لم يجز شيء من ذلك، لتعري الجزء الآخر من زيادة الفائدة على الجزء الأول...»<sup>(٢٥)</sup>

وهنا يجب أن ننبه على أن خطأ النحو التقليدي الجاري تدريسه حتى اليوم، أنه قسّم الفصائل النحوية خارج السياق الاستعمالي، أما نظرية الفاعل السحري فلا تقرُّ بأيّ تصنيف لها إلا خارج الكلام؛ لأن الاستعمال هو الذي يكشف عن الخصائص النحوية بوساطة مرجعين: أولهما: ذهن المخاطب.

ثانيهما: طريقة الاستعمال، وقليلاً ما نعتمد على الشكل؛ لأنه مضلل.

فمثلاً لفظة (منخل) التي جاءت في جدول الإحلال فعلاً، في جملة: (منخل زيد) ويعني: هاتك الأسرار زيد، يمكن إرجاعها إلى فصيلة الاسم عندما نسندنا إلى فعل بقولنا: (انكسر منخل زيد)؛ ذلك أن اللغة الطبيعية قائمة على مبدأ أنها (لعبة)<sup>(٢٦)</sup>، فهي ليست كالرجل الصارم الذي يعرف ما يريد ويفعل على وفق قواعد لا يحيد عنها، بل هي كرجل متفائل نشط: (يصرف ما في الجيب ليأتيك ما في الغيب).

جملة: (زيد المنطلق)، من: (المنطلق زيد)، التي يُبينُ فيهما أن اسم العلم (زيد) والمضاف إلى معرفة (صاحبك) يمكن أن يأتي خبرين نكرتين في قولنا: (المنطلق زيد)، و(اللابس الديباج صاحبك)، أي إذا تساوى المبتدأ والخبر بالتعريف الشكلي فإن العنصر الأول يُخصص للاسم المبتدأ المعرفة الذي يسم ما بعده بالخبرية والتنكير في ذهن السامع، قال الجرجاني: «وليس كذلك إذا قدّمت (المنطلق) فقلت: (المنطلق زيد)، بل يكون المعنى حينئذ على أنك رأيت إنساناً ينطلق بالبعد منك، فلم تُثبت، ولم تعلم أزيد هو أم عمرو، فقال لك صاحبك: المنطلق زيد، أي هذا الشخص الذي تراه من بعد هو زيد. وقد ترى الرجل قائماً بين يديك وعليه ثوب ديباج، والرجل ممن عرفته قديماً ثم بعد عهدك به فتناسيته، فيقال لك: اللابس الديباج صاحبك الذي يكون عندك في وقت كذا، أما تعرفه؟ لشد ما نسيته. ولا يكون الغرض أن يُثبت له لبس الديباج؛ لاستحالة ذلك، من حيث أن رؤيتك الديباج عليه تُغنيك من إخبار مُخبر وإثبات مُثبت لبسه له.»<sup>(٢٤)</sup>

فـ(المنطلق) و(اللابس الديباج) في بداية الكلام هنا من الأسماء المعارف؛ لأنهما حددا مرجعهما بنفسيهما على الرغم من أنهما يُريان كأنهما مشتقات. و(زيد)، و(صاحبك) أخبار نكرات على الرغم من علمية لفظة (زيد)، والإضافة المحضة إلى (الكاف) المزعوم تعريفها بعدها من المعارف دائماً؛ لأن موقعهما المتأخر بعد المبتدأ المعرفة جعلهما يأخذان موقع الخبر النكرة لا من حيث شكلهما اللغوي، وإنما من حيث جهل

إلى الفعل المستمر الزمن، استبدلت الفاعل المسحور النكرة المتضمن في صيغة الفعل (قَدِمَ) مثلاً بالفاعل السحري المتضمن في صيغة (قادم) مع إطلاق مقولة الزمن؛ لذلك يُوحى الفاعل السحري بأنه فاعل واحد أنجز حدث (القدوم) بطريقة عين، يفسّره الفاعل الاسنادي الدلالي: (زيد) في جملة (قادمٌ زيدٌ).

وتدلّ على الثبوت الذي كان مصطلحاً غامضاً في التراث البلاغي؛ في حين فسّر (الفاعل السحري) الثبوت بقوة إنجاز فعل كلام كامل بطريقة عين، لتمدد أثر الحدث إلى كل الأزمنة حال نطقنا بالجملة المتضمنة لفعل مستمر الزمن. وهو ما أكده الجرجاني في تحليل لفظة (باسط) في قوله تعالى: (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) <sup>(٢٧)</sup> بقوله: «فإنَّ أحداً لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأنَّ قولنا: «كلبُهُمْ يَبْسِطُ ذِرَاعِيَهُ» لا يؤدّي الغرض... ولا فرق بين (كلبهم باسط) وبين أن يقول: (كلبهم واحد) مثلاً، في أنك لا تثبت مزاوله [حركة مصاحبة لزمن معين]، ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً، بل تثبت بصفة هو عليها». <sup>(٢٨)</sup>

وهو ما يُعبّر عن قوة إثبات المتكلم لخبره الذي ليس بالضرورة أن يكون واقعاً في الماضي أو سيقع في المستقبل أو يقع الآن في ضمن الواقع المعيش؛ الذي يجب أن نحذر منه، وإلا وقعنا بخطأ أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي <sup>(٢٩)</sup> في تقسيم زمن اسم الفاعل على: (ماضٍ، وحال، ومستقبل، ومستمر). ومثاله على تضمّن اسم الفاعل للزمن الماضي: (فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) <sup>(٣٠)</sup>، وللحاضر: (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ)

فهي ليست كالرجل الصارم الذي يعرف ما يريد ويفعل على وفق قواعد لا يحيد عنها، بل هي كرجل متفائل نشط: (يصرف ما في الجيب ليأتيك ما في الغيب).

وهكذا يمكن أن نسَمّي شخصاً باسم يتضمنّ علامات الفعل القديمة المُضَلَّلَة: (السين، وسوف، وقد) وغيرها، بجعله (مسنداً إليه) في جملة خلال دقائق، كأن ننادي على رجل ونقول له: تعال يا رجل، فيقول: (سوف آتي قريباً)، ثم نكرر النداء عليه، فيكرر الجملة نفسها، وحين يأتي تمكنا اللغة أن نقول: (جاء/ سوف آتي قريباً). كقولنا: (جاء/ تأبط شراً)، و(جاء/ جاد المولى).

فمثل هذه الأسماء جاءت بهيأة (عبارة اسمية) تؤدي بمجموعها وظيفة الفاعل: (زيد)، ولا تُحلل وتُعرّب أجزاءها، ولا تتضمن ضميراً رابطاً، وإلا انتفت الجملة؛ لأنّ (فعل وفعل) لا تنعقد بينهما علاقة إسنادية مفيدة، بحسب ما أوضحنا سابقاً.

## المبحث الثاني

### قوة الفاعل السحري في (الأفعال/ الأخبار) المستمرة الزمن:

#### ١. قوة الفاعل السحري في (الفعل/ الخبر) بهيأة اسم الفاعل:

إذا عدلت الجملة الفعلية عن الفعل المحدّد الزمن

(<sup>٣١</sup>)، وللمستقبل: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (<sup>٣٢</sup>)، وللمستمر: (فَالِقُ الْوَعْدِ وَالنَّوَى) (<sup>٣٣</sup>)، والزمن المستمر بهذا التوجيه المُقاس بالواقع المعيش يعني أن الله يزاوِل حركة الفلق في الماضي والآن وفي المستقبل، في حين يُقاس استمرار الزمن في نظرية الفاعل السحري بالنسبة إلى نظرية المقام من لحظة تلفظ جملة (الله فاطرُ السماوات) فيتمدد الزمن نحو الماضي والآن والمستقبل.

ففي هذه الأزمنة الأربعة التي حددها السامرائي خطأ كبير آت من تدخّل عوامل غير لغوية، وهي معرفة العالم الحقيقي التي لها نظامها المعنوي الخاص، الذي لا ينبغي أن يختلط بمعاني نظام المقام فيعثر النظام الأول بالنظام الثاني فينتج معاني مخالفة للمعاني المقصودة المستوحاة من نظام اللغة المرتبط بالمقام، ف(فاطر السماوات...) إنما هو تعبير عن كمال حدث الانفطار حال النطق بالكلام وبقي محافظاً على تمامه وكماله بتمدد زمنه نحو ماضي الانفطار الواقعي حتى الآن والمستقبل؛ كذلك قولنا: (هندُ والدَةُ عمرو)، إذا عَلِمْنَا أَنَّ عمرًا وَلِدَ قَبْلَ ساعة، فهذا لا يعني أَنَّ زمن الخبر: (والدة) ماضي، بل تبقى (هندُ والدَةُ عمرو) في كل الأزمنة حال نطقنا الجملة، بيد أن التمدد نحو الماضي تحدّد كميته الخبرة غير اللغوية بساعة، شاملاً الآن حتى يوم القيامة، فهي والدَةُ عمرو، إذ يمكن أن يُنادى عليها بـ(أين والدَةُ زيد) فتعرف نفسها

هكذا تريد اللغة أن تقول حين تستعمل هذه الأساليب.

أما الحركة الإعرابية فنظامها مختلف، وهي تُوهم أيضاً، وعلينا الحذر منها وإلا عبث بمعاني النظام الصرفي. وبيان ذلك في مناظرة الكسائي (ت ١٨٩ هـ) للقاضي أبي يوسف (ت ١١٣ هـ) في مجلس الرشيد، إذ جعل أبو يوسف يذم النحو، فقال الكسائي: «ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامك، وقال له آخر: أنا قاتلُ غلامك، أيهما كنت تأخذ به؟ قال: آخذهما جميعاً، فقال له هارون: أخطأت... قال: كيف ذلك؟! فقال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامك بالإضافة....» (<sup>٣٤</sup>)؛ دلالة على تنفيذ القتل في الواقع المعيش المستوحى من تواضع العرب على أن اسم الفاعل المضاف إلى مفعوله يدل على تنفيذ الحدث الذي يتضمّن الخبر بـ(اسم الفاعل). لكنّ هذا التواضع النحوي لا يجعل زمن اسم الفاعل المضاف إلى مفعوله ماضياً من منظور صرفي؛ لأنه يثير تساؤلاً لا جواب له وهو: إذا كان زمن اسم الفاعل ماضياً حين يجرّ مفعوله، لماذا عدل المتكلم إلى قوله: (أنا قاتلُ زيد) بدلاً من: (أنا قتلْتُ زيداً)؟

وجوابنا هو أن الإخبار بالفعل الماضي ضعيف؛ لتضمّنهِ فاعلاً مسحوراً يُومئ ولا ينجز الحدث إلا بمزاولة حركة متصورة في الماضي، ولكن الإخبار باسم الفاعل (قاتل) إخبار قوي لشمول زمنه الصرفي كل الأزمنة، إذ يمتدّ زمن اسم الفاعل حال نطق المتكلم به نحو الماضي المحدّد بزمن تنفيذ القتل مدة شهر مثلاً، شاملاً الآن والمستقبل إلى أبد الآبدين.

والنتيجة تُظهر عبقرية لغة القرآن الكريم التي

استثمرت إمكانات النظام النحوي والنظام الصرفي وغيرهما معاً بحيث لا يعبثُ أيُّ منها بالآخر، وإنما الذي يعبثُ بهما هم العلماء.

وهو ما يُفسّر قراءة الخليفة عمر بن عبد العزيز (٦١هـ - ١٠١هـ)، وأبي حنيفة (٨٠-١٥٠هـ) (رضي الله عنهما)، لقوله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" (٣٥)، برفع (الله) فاعلاً لـ (يخشى)، (٣٦) بمعنى يُعْظَم من عباده العلماء ويجلّهم لاجتهادهم فيغفر لهم، ويخشاهم أيضاً، أي يخافهم مُعْظَماً أخطاء اجتهداهم التي تفتن عقول معظم الناس، فيشيع الظلم المُوهَم أنه مبني على أساس علمي صادر عمّن اختارهم الله من عباده لفهم مقاصد أحكامه من كلامه، إذ ترد الخشية بمعنى الاختيار، (٣٧) أي أعظمهم وأجلّهم فأختارهم لتفسير كلامي للناس، ولا ينبغي للمُختار أن تشاكس أخطاؤه إرادة الله في هداية البشر وإقامة العدل بينهم على وفق شريعته المستنبطة من كلامه؛ لذلك ذُيِّلَت الآية الكريمة بقوله: (عزيز غفور)، وهو تعليل يدلّ على عقوبة الذين يُخطئون، بمعنى أنّ الإجلال والتعظيم والاختيار المُعطى لهم يكون قرينة الغفران لهم إذا أصابوا، وبالأعلى عليهم إذا أخطأوا من دون تدقيق وتحقيق يؤدّي إلى معرفة مقاصد الله في أحكامه.

لذلك ذمّ الإمام علي (ع) العلماء الذين يختلفون في الفتيا، إذ لا مجال للاختلاف في الحكم على قضية واحدة بأحكام متباينة حدّ التناقض باعتماد الدستور نفسه، ما لم تكن تلك الآراء ذاتية قائمة على تدخّل الهوى العاثر بالحقيقة.

وذلك قوله: "تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرُدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةَ بَعَيْنَهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيَصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً وَالْهَيْئَةُ وَاحِدٌ وَنَبِيَّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ. أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى..." (٣٨).

وإذا علمنا أنّ الإمام علي (ع) توفي عام (٤٠هـ) عرفنا حجم المشكلة التي رصدها قبل هذا التاريخ في قراءة العباد العلماء للنص القرآني لاستنباط الأحكام منه قبل ظهور علم النحو إلى الوجود الذي انحرف عن مساره الموضوع له بعد سيبويه، ما جعل بعض المفسرين يطرد العارفين بالنحو والصرف من حقل العلماء؛ لأنّ علمهم لا يؤدي إلى معرفة الله، (٣٩) معزّزاً بذلك استخفاف أبي يوسف بالنحو؛ لهذا لا بدّ من إعادة الهبة لعلماء النحو. أمّا عدم أخذ المتكلم المُنَوَّن لاسم الفاعل (قائل) فلا يعني أنّ زمن الصيغة الصرفية يساوي معنى (سأقتل)، فهذا التأويل يعبث بمقاصد المتكلم الذي استعمل نظام الحركة الإعرابية من دون العبث بنظام الصرف، الذي لو عبث به لعدّل المتكلم إلى استعمال الفعل المُحدّد الزمن (سأقتل) وامتنع عن استعمال صيغة المشتق الصرفية (قاتل) المستمرة الزمن، لكنّ النظامين تآزرا معاً؛ فالتنوين النحوي الذي نصب مفعول اسم الفاعل يدلّ على عدم تنفيذ حدث القتل المتضمّن، والنظام الصرفي للمشتق يدلّ على قوّة إثبات القتل بوصفه

والا وقعنا بخطأ أستاذنا الدكتور فاضل  
السامرائي في تقسيم زمن اسم الفاعل على:  
(ماضٍ، وحال، ومستقبل، ومستمر).

زيدٌ)، فإنها تدلّ على أنّ الفاعل السحري فيها فعَلْ حدث  
(النجر) بمهارة تفوق مهارة الناجر؛ لهذا يوجد فرق كبير  
بين الجملتين:

- عودٌ منجورٌ وقد نجره نَجَّارٌ.

- عودٌ منجورٌ وقد نجره ناجرٌ.

فالجمله الأولى تدلّ على حُسْنِ النجر وسرعة  
الانجاز، الذي يُعطينا صورة حَدَثٍ حصلت بأقلّ من  
طرفه عين حال نطقنا بالجمله، بالقياس إلى سرعة إنجاز  
اسم الفاعل (ناجر)، فيما لو استعملنا (نَجَّار، وناجر)  
صيغاً تنوب عن الفعل وترفعُ فاعلاً إسنادياً وليست  
كالأمثلة السابقة فإنها أسماءٌ محضةٌ فواعلٌ للفعل  
الماضي (نَجَرَ)، ومع ذلك تحتفظ الفواعل المشتقة بقوة  
فواعلها السحرية؛ لأنها أسماءٌ مشتقة من الفعل، وليست  
أسماء مرتجلة نحو: (زيدٌ، وعمرٌ).

وهنا تظهر لنا مشكلة جديدة يثيرها السؤال: أتوجد  
فروق بين الأسماء المعرفة المشتقة المستعملة (فاعلاً/  
مبتدأً) نحو: (فاضلٌ، وعَمَّارٌ، ومحمودٌ، وفَضْلٌ...)،  
والأسماء الاعتبارية، نحو: (زيدٌ، وعمرٌ)؟! الجواب:  
يوجد فرق. وهو ما سيتضح لاحقاً.

فعل كلام لا غير، وكأن المتكلم يريد القول بأنّ القتل  
حاصلٌ مِنِّي لا محالة بالوعيد القوي على الرغم من أنّ  
القتل لم يحصل بعد؛ لأنّه فعل كلامي شَمِلَ كلّ الأزمنة  
حال النطق به ممتدداً نحو الماضي الدال على التخطيط  
المسبق والنية المُبيّنة المستمرة حتى الآن والمستقبل؛  
والقاضي لا يأخذ الناس على الوعيد مهما كان قوياً؛ لأنّ  
الوعيد يمثل فعل كلام قصاصه فعل كلام مثله أو أقوى  
منه، بما يُصطلح عليه اسم (المشادة الكلامية).

أما الفرق بين قوة اسم الفاعل والأفعال المستمرة  
الزمن الأخرى، فاسم الفاعل يتضمّن فاعلاً سحرياً  
واحداً، فهو أضعفُ المشتقات حين تتشابه المقامات؛  
وهذا الحدّ يمنع الخطأ الآتي من تلبس الجملة  
بالدلالات المعجمية المختلفة، فعند جعل اسم الفاعل  
مسنداً إلى فاعل دلالي قويّ الإرادة مثل الله تعالى؛  
علينا أن لا نسقط مسلمات النظام اللغوية المعزول عن  
الدلالة على الاستعمالات التي تلبس بالدلالة، فلفظة  
(فاطر) مثلاً في قوله تعالى (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)  
لا توصف بالضعف؛ لأنّ الفاعل الدلالي يقوّي انجاز  
الأفعال الكلامية حين يكون فاعلاً عزيزاً هو: (الله  
تعالى)؛ لذلك علينا الحذر من تدخل الدلالة المعجمية  
كي لا تُفسد المعنى النحوي كحذرنا من إهمال الدلالة  
المعجمية.

## ٢. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر)

بهيأة صيغ المبالغة من اسم الفاعل:

تتضمّن صيغة اسم الفاعل فاعلاً سحرياً بسيطاً  
واحداً، أما صيغ المبالغة نحو: (نَجَّار) في جملة: (نَجَّارٌ



أما المفاضلة النوعية المطلقة فتختفي فيها (من)،  
بمعنى أن الفاضل يفضل كل المتنافسين معه على صفة  
ما، نحو قوله تعالى: (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى).<sup>(٤٢)</sup> ومنها  
قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول<sup>(٤٣)</sup>

قال ابن الناظم: «أراد: عزيزة وطويلة.»<sup>(٤٤)</sup>

وهذا المعنى يُقربها من معنى الصفة المشبهة من  
حيث القوة، وكذلك المفاضلة المضافة إلى المحلى  
بـ(أل) التنكير؛ لأنها دالة على الكلية الجنسية، نحو:  
- زيدٌ الأفضلُ.  
- زيدٌ أفضلُ القومِ.

ومع أن المفاضلة المطلقة قوية، إلا أنها تبقى مفاضلة،  
إذ توحى بوجود مفضول عليهم تطالوا للفضل ولكنهم  
عجزوا عن نيل الأفضلية المطلقة، فهي تضمُّ فاعلاً  
سحرياً مضاعفاً بتكثير المتشابه، كفاعل صيغ المبالغة؛  
لذلك إذا تصوّر المتكلم أن له الغلبة المطلقة على  
خصم مغلوب مطلقاً، حَسَنَ الرَّدُّ عليه بالمصدر نحو  
قوله تعالى: (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ  
الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ  
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)<sup>(٤٥)</sup>

وهذا يدل على أن المصدر أقوى المشتقات،<sup>(٤٦)</sup>  
وفسّر بعضهم الرَّدُّ بالصفة المشبهة (الذليل، والعزیز)،  
الأقلُّ قوةً من المصدر، وكلاهما أقوى من اسم التفضيل  
المطلق، قال ابن حيان: «ولما سمع عبدُ الله، ولَدُ عبدِ  
الله بن أبي هذه الآية، جاء إلى أبيه فقال: أنت والله يا

والنتيجة تُظهر عبقرية لغة القرآن الكريم  
التي استثمرت إمكانات النظام النحوي  
والنظام الصرفي وغيرهما معاً بحيث لا  
يعبث أي منها بالآخر، وإنما الذي يعبثُ  
بهما هم العلماء.

وصيغ المبالغة يتضاعف فيها الفاعل السحري، لا  
على النحو المتضاد القوي (الفاعل / المنفعل)، وإنما  
بمعنى تكثير المتشابه. وقد ذكر الأنطاكي إحدى عشرة  
صيغةً للمبالغة، وعدّها من الصفات المشبهة،<sup>(٤٧)</sup>  
نحو: (جبار، وصديق، وقُدوس).

والسؤال لماذا فصلها الأنطاكي عن صيغ الصفة  
المشبهة متابعاً القدماء؟! لم يجبنا أحدٌ عن ذلك، لكن  
نظرية الفاعل السحري تسوّغ الفصل؛ لتضمن صيغ  
المبالغة فواعل سحرية يطرد فيها معنى تكثير الفاعل  
لفعل ما بمعنى أنها تضمُّ فاعلاً سحرياً غير منفعل، فهي  
أقلُّ قوة من الصفة المشبهة التي يكون فاعلها السحري  
يحمل معنيين متضادين (فاعل / منفعل).

### ٣. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر)

بهيئة اسم التفضيل البسيط والمطلق:

يدل اسم التفضيل على اشتراك شيئين في صفة معينة  
وأن أحدهما زاد على الآخر فيها.<sup>(٤٨)</sup> وهذه الزيادة كمية  
تظهر في قولنا: (زيدٌ أفضلُ من عمرو)، وفيها تلزُّمُ  
المفضول عليه (من) التي هي لابتداء الغاية؛ أي أن زيدا  
أفضل ابتداءً من نقطة فضل عمرو.

أبتِ الدليل، ورسولُ الله (ص) العزيزُ...»<sup>(٤٧)</sup>

#### ٤. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر)

##### بهيأة الصفة المشبهة:

نظراً لتدخّل الدلالة المعجمية في صناعة قوة الصفة المشبهة صُعِبَ حصر صيغها؛ وحاول الأنطاكي<sup>(٤٨)</sup> حصرها عبثاً بسبع عشرة صيغة معللاً أهمية هذا الضبط بالقيمة التعليمية، ولا قيمة لحصر العدد من دون وضع قواعد تزيل اللبس.

فالصفة المشبهة لا تُجرّد من الدلالة المعجمية والمقامية؛ فهي تأتي بصيغة اسم الفاعل، نحو: (طاهر، وفاضل)، وتأتي بصيغة اسم المفعول، نحو: (مددوح، وميمون)، وبصيغة اسم التفضيل، نحو: (أسمر، وأعرج)، وتأتي بصيغها الخاصة نحو: فَعَلَ (شَهِم)، وفَعَّلَان (عَطْشَان) وغيرهما.

ويُستدل على قوة الفاعل السحري الانجازية في الصفة المشبهة من انجازه الحدث بطرفة عين مع تمدد الزمن نحو الماضي البعيد حتى الآن والمستقبل حال نطقنا بجملتها. وكأنَّ المُخْبَرَ عَنْهُ بِهَا قاومَ عوادي الزمن وله تاريخٌ يشهدُ له على ذلك.

أكّد هذا المعنى ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) بمساعدة نظرية العامل المحفوفة بالمخاطر، قال: «فإذا زعمتم أنَّ هذه الصفات ونحوها في معنى الماضي، فما بالكُم تعملونها، واسم الفاعل الذي شُبِّهَتْ بِهِ إذا كان ماضياً لا يجوز أن يعمل... قيل: هذه الصفات وإن كانت من أفعال ماضية، إلا أنَّ المعنى الذي دلّت عليه أمر مستقر ثابت متصل بحال الإخبار...»<sup>(٤٩)</sup>

ولم تقف قوة الصفة المشبهة عند هذا الحدّ، وإنّما هناك عنصر آخر يقوِّمها يمكن أن نستشفه من فاعلها السحري الذي يظهر في قولنا:  
- حَسَنُ وَجْهِ زَيْدٍ.

ف(وجه) فاعل إسنادي للصفة المشبهة (حَسَنٌ)، لكن لا يمكن أن نتحدّث عن فاعل مباشر؛ لأنَّ الوجه ليس هو الذي قام بفعل الحُسْن من منظور دلالي، كما نتحدّث عن (قائم زيد) بأنَّ القيامَ أدّاهُ (زيد) دلاليّاً وأسند إليه في وقت واحد. وعليه يكونُ الفاعل الدلالي في: (وجهُ زيد) فاعلاً من حيث الإسناد ومفعولاً من حيث الدلالة؛ لأنَّ أثر الحُسْن قد وقع عليه<sup>(٥٠)</sup>؛ ويمكن وصف ذلك بأنَّ الفاعل السحري الرابط للصفة المشبهة بفاعلها المباشر يحمل قوة (الفاعل/ المنفعل).

ومن خصائص الدلالة المعجمية التي يمكنها نقل ما صيغ صرفياً على أوزان مختلفة إلى صفات مشبهة هي دلالتها على خِلقة أو أخلاق، نحو: (أسمر الوجه، وضامر البطن)، و(معمور، ومؤدّب)، التي حدس قوتها ابن يعيش فهوّن من قوة صيغة اسم الفاعل عابثاً بزمنه المستمر؛ وذلك قوله واصفاً الصفة المشبهة بأنّها: «تدلّ على معنى ثابت، فإنَّ قُصِدَ الحدوثُ قيل: (هو حاسنُ الآن أو غداً)... وأسماءُ الفاعل والمفعول يجريان مجراها في ذلك، فيقال: (ضامر البطن)، و(جائلة الوشاح)، و(معمور الدار)، و(مؤدّب الخادم)...»<sup>(٥١)</sup>. وهذا خطأ، إذ لا يصحّ عدّ زمن (حاسن) الآن أو غداً؛ لأنَّ (الآن وغدا) قرينتا إعمال تنتمي إلى النظام النحوي، فلا ينبغي استعمالهما أدواة عبث بزمن النظام الصرفي

لاسم الفاعل الشامل لكل الأزمنة؛ فهذا الإجراء يخلط أزمنة المستويين فيعبث معنى أحدهما بمعنى الآخر، ويصبح اسم الفاعل مساويا للفعل المضارع أو فعل المستقبل: (يحسن، سيحسن). والصحيح أن (حاسن) يدل على الثبوت لتمدد زمنه الصر في بكافة الاتجاهات، وهو صفة مشبهة مضاعفة الفاعل السحري مضاعفة تضاد: (فاعل / منفعل)؛ لأن دلالة مشتقة من حقل الخلق، بيد لأنه مصوغ بهيأة اسم الفاعل الذي يوحى هنا بأنه أقل قوة من المصوغ بهيأة: (فعل = حسن)؛ وهي إحدى صيغ الصفة المشبهة الخاصة بها، إذ يوحى (حاسن) بأن الثبوت ليس موعلاً في القدم؛ لأنه يوحى بتحوّل من قبيح إلى حسن من وقت قريب، وهنا يظهر سرّ الفرق بين (حسن) المتمدد الزمن في الماضي البعيد، وكأنه خلق حدث منذ الولادة ولم يسبقه قبح، و(حاسن) المتمدد في الزمن الماضي القريب الذي سبقه قبح، وكلاهما مستمر الزمن بفارق في كمية الزمن الماضي من لحظة النطق بالكلام.

وقد تأثر كثير من النحاة المحدثين بنظرية العامل المضللة؛ فوقعوا بالخطأ نفسه؛ ومنهم: الأنطاكي<sup>(٥٢)</sup>، وعباس حسن، والدكتور فاضل السامرائي، وقبش أحمد<sup>(٥٣)</sup>، والدكتور رابع بو معزة<sup>(٥٤)</sup> وغيرهم فتابعوا ابن يعيش<sup>(٥٥)</sup>؛ فظهرت لهم تنظيرات متناقضة، يقول عباس حسن مثلاً عن ثبوت اسم الفاعل: «هو الحادث، أي العارض الذي ليس له صفة الثبوت على الوصف الدال على الفاعل»<sup>(٥٦)</sup>، ويقول السامرائي: «الصفة [المشبّهة] تثبت في صاحبها على وجه الدوام... فإذا أردنا الحدوث

حوّلنا الصفة المشبهة إلى اسم فاعل»<sup>(٥٧)</sup>. وقد أوصل الخلط بين معاني الأنظمة المختلفة الدكتور فاضل السامرائي<sup>(٥٨)</sup> إلى جعل دلالة (ضامر البطن)، أقوى من دلالة (فاطر) في قوله تعالى: (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) إذ جعل: زمن اسم الفاعل: (فاطر) يدل على المضي فحسب؛ لأنه غير عامل، على الرغم من أن فاعل (فاطر السماوات) الدلالي هو الله تعالى، وفاعل (ضامر البطن) هو زيد!!.

وهكذا عبثت الخبرة غير اللغوية بزمن الصيغة، وزادت الحركة الإعرابية الطين بلة فتساوى زمن المشتق بزمن الفعل الماضي تارة وبالمضارع تارة أخرى وبالمستقبل ثالثة، حتى التبست معاني الأفعال المحددة الزمن مع المستمرة الزمن التي تمايزت بدءاً، ولم يبق عند النحاة التقليديين إلا الحدس غير القابل للملاحظة الذي صاغوه بمصطلحين مضطربين هما: الثبوت والحدوث<sup>(٥٩)</sup>؛ لاتضاح مفهوم الثبوت حيناً وغموضه حيناً آخر؛ وضح عند الجرجاني مُحدّداً معالمه المقام. ووضح حدّاً بنوياً عند الفاكهي (ت ٩٧٢هـ) بتعريفه لاسم الفاعل بأنه ما: «أُخذ من مصدر فعل ثلاثي أو غيره، لمن قام الفعل به، أي تلبس به على معنى الحدوث، أي حدوث الفعل منه... على معنى الثبوت لا الحدوث».

(٦٠)

وقد أخطأ الدكتور فاضل السامرائي مرتين في فهمه لـ: (حدوث الفعل منه)؛ مرة في إقراره بوجود فاعل معرفة متضمّن في اسم الفاعل، وإذا وجد الفاعل تمت الجملة المفيدة التي يحسن السكوت عليها، ولا وجود

وقد أوصل الخلط بين معاني الأنظمة المختلفة  
الدكتور فاضل السامرائي إلى جعل دلالة  
(ضامر البطن)، أقوى من دلالة (فاطر) في قوله  
تعالى: (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

أ- إذا صيغت الصفة المشبهة بأي شكل صرفي من  
الحقل الدلالي الدال على خلقه أو أخلاق، فإن هذين  
الحقلين يقويان ثبوت معنى الصيغة بمدّ زمنها إلى  
الماضي البعيد المتصل بالحاضر والمستقبل. وتُحدّد  
الخبرة غير اللغوية كمية تمدد الماضي حال النطق  
بالكلام.

ب مضاعفة الفاعل السحري بمعنى (الفاعل/  
المنفعل) بالصفة المشبهة تقوي علاقة الخبر بالاسم  
المسند إليه بروابط متضادة، تعضدها الدلالة المعجمية  
السابقة، وهو ما نلاحظه في جملة: (ضامر البطن زيد)؛  
أي وقع عليه فعل الضمور؛ لأنه فعّل كل الأفعال التي  
تضمّر البطن.

ويمكن تطبيق القاعدتين على مثالي ابن يعيش: (زيد  
معمور الدار)، و(زيد مؤدّب الخادم)، فهما مشحونتان  
بمعنيين أخلاقيين، وفاعلهما السحري مضاعف، ففي  
صيغة (معمور) (منفعل / فاعل)، أي أن دار زيد لم يكن  
معمورا، لولا فعلها الأفعال التي وقته من الخراب.  
والفرق بين (عامر، ومعمور) هو أن (معمورا) ينشط  
الكفاية التأويلية للمتلقى، فيستنتج بنفسه (الفاعل  
السحري) من (المنفعل)؛ أي أن المتلقي يكشف الخفي

لجملة بلفظة: (قائم) وحدها من دون إسنادها إلى فاعل  
دلالي، وإذا أسندناها إلى فاعلها الدلالي يُصبح عندنا  
فاعلان، يُعيدان لنا مشكلة لغة: (أكلوني البراغيث)  
بحسب تقدير السامرائي.

والمرة الثانية أنه فهم من: الحدوث المُفسّر  
ب(حدوث الفعل منه) عند الفاكهي أن اسم الفاعل لا  
يدلّ على الثبوت، وإنما يدلّ على الحدوث، وذلك  
قوله: «اسم الفاعل يدلّ على الحدث والحدوث  
وفاعله... ف(قائم) مثلا اسم فاعل يدلّ على القيام وهو  
الحدث، وعلى الحدوث، أي التغيّر، فالقيام ليس ملازما  
لصاحبه...» (٦١).

ثم شَعَرَ بالتناقض؛ لأنه سبق أن قال إن المشتقات  
تدلّ على الثبوت مقابل الحدوث في الأفعال المحددة  
الزمن، فقال: «سبق أن قلت: إن الاسم [المشتق] يدلّ  
على الثبوت، وضربت أمثلة بها أسماء فاعلين فكيف  
تنقض الآن ما قلته آنفا، وتقول: هو يدلّ على الحدوث  
لا الثبوت؟!...» (٦٢).

هذا هو حال النحو التقليدي الذي وصل إلى  
نتائج لا يُحسد عليها، فهو إما جعجعة بلا طحن، وإما  
مضلل ومليء بالتناقضات. أما تقنيات نظرية (الفاعل  
السحري) فحسمت معنى الثبوت ومنعت الحركة  
الإعرابية من العبث به، فضلا عن منع الخبرة غير اللغوية  
من العبث بزمن (الأفعال / الأخبار) المستمرة الزمن.  
وتقدّم مسوغات علمية لشحن صيغة اسم الفاعل واسم  
المفعول وغيرهما بمعاني الصفة المشبهة بالقواعد  
الدلالية الآتية:

هذا هو حال النحو التقليدي الذي وصل  
إلى نتائج لا يُحسد عليها، فهو إما جعجعة  
بلا طحن، وإما مضلل ومليء بالتناقضات

الاتجاهات، ويحمل فاعلا سحريا مضاعفا: (فاعل/ منفعل)، فهو كرم في الشتاء دلالة على وقوع أثر كرمه كل حين على مكرمين كثيرين.

وتصبح هذه الجمل كلها مادحة تُلصق الخبر بفاعلها الدلالي بقوة، لكن استعمال: (قتال، وحمال، وكريم) مع متممات الجمل السابقة تجعل الجمل أمدح؛ لهذا يمكن أن تنتقل بنا إلى معاني ذم مضادة إذا كان المفعول خسيسا، نحو: (زيد قاتل الفأرة)، أو (زيد قاتل السبع الميت)، أو (حمال همّه أبدا)؛ ولا حياد هنا يُضعف الفاعل السحري ويجعله بسيطا واحدا كالفاعل السحري في صيغة اسم الفاعل المصوغ من الحسيات؛ لذا تقف الصيغ الصرفية المجردة حائرة لا تعصم من الوقوع بالخطأ، وتلك مزية الصفة المشبهة، فيجب التنبه إليها.

وقد تنقل مثل هذه الأخبار القويّة معانيها إلى الأسماء المعرفة التي تأتي فواعل في سياق جملة فعلية فعلها صريح، نحو: (جاء قاتل الفيل، وقاتل الوحش)؛ لهذا لا يكون المسند إليه محايدا إذا حُمّل بمعاني الأحداث الخلقية والخلقية، أو المتضمنة عن طريق الخبرات غير اللغوية، التي تتحوّل أسماء الأشخاص المحايدة، نحو (زيد، وعمرو) إلى غير محايدة لتحملها صفات المشتق داخلها فيما لو عَلِمْنَا أَنَّ زيدا أو عمرا من الشجعان أو

من الظاهر بعد تأمل وروية؛ لذلك تطلب الأمر الإشارة إلى المعنى الخفيّ فقيل: (معمور بمعنى عامر)، ولم يقولوا العكس، عامر بمعنى معمور؛ لأنّ عامر يعدّ أصلا بسيطا في سلّم البنى الصرفية، ومعمور معدول عنه. وعليه ف(عامر الدار)، أضعف من (معمور الدار)، على الرغم من تضمّن (عامر) فاعلا سحريا مضاعفا (فاعل/ منفعل)، أي لولا فعل دار زيد الأفعال الكثيرة التي تقيه الخراب، لما وقع عليه أثر العمر المستتج بالتأمل، وأنّ كلاً من: (عامر، ومعمور) صفة مشبهة؛ بسبب أثر دلالة الأخلاق في هذه الصيغ، ولكن معمور أقوى من عامر؛ لأنّ الأول يُستخرج بعد طول تأمل، والثاني واضح.

وقد يُستعان في فهم قوة الصفة المشبهة بعامل بنيوي مهم آخر، يظهر عند النظر في متممات صيغ (الأفعال/ الأخبار)، أي المفاعيل: المفعول به أو حتى الظرف، فإذا كانت المتممات مُحَمَّلة بدلالات الخلق أو الأخلاق أصبحت الصيغة صفة مشبهة مهما كان شكلها، والجمل الآتية توضح ذلك:

- زيد قاتل الفيل. بالإضافة إلى مفعول ضخم الجثة.  
- زيد قاتل الوحش. بالإضافة إلى مفعول عنيف الأخلاق.

- زيد حامل همّ القبيلة. بالإضافة إلى شمول الكل.  
- زيد قاتل عمرو. (إذا كان المفعول بطلا). بالاستعانة بالخبرة غير اللغوية على ما سبق.

- زيد كرم في الشتاء، أي في أصعب الظروف؛ فهو إذن كرم في كل الأوقات؛ لأنّ الكرم من أخلاقه ولا فكاك له منه؛ لهذا يتمدد زمن الفاعل السحري بكل

العجباء مثلاً، فتوحي بالمدح أو بالذم، ما يُضخم معنى الاسم المحايد ويحوّله من علامة على الشيء إلى سمة له كالخِلقَة أو الأخلاق؛ لذلك تكون الدلالة والخبرة غير اللغوية فاعلتين في توجيه الصيغ باتجاه الصفة المشبهة، ولا تعصم أشكال الصيغ الصرفية من الوقوع بالخطأ.

## ه. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر)

### بهيأة اسم المفعول:

تبين مما سبق أنّ اسم المفعول إذا شُحِنَ بمعنى معجمي من الحقل الدلالي الدال على الخِلقَة والأخلاق، تضاعف فاعله السحري، وأصبح يدل على معنى الصفة المشبهة، أما إذا صيغ من حقل الحسيّات فإنّ معناه يصبح أقلّ قوة من معنى الصفة المشبهة، وتصبح له دلالة الخاصة به؛ لذلك إذا أُريدَ تقوية صيغة اسم المفعول الحسيّ الدلالة لجأ المتكلم إلى صيغ أقوى من بنية صيغة (المفعول)، قال الدكتور فاضل السامرائي: «إنّ فعليّاً أبلغ من مفعولٍ وأشدّ، فإنّ صيغة (مفعول) تدلّ على الشدّة والضعف في الوصف بخلاف (فعل) التي تفيد الشدّة والمبالغة في الوصف، فالمجروح جرحاً صغيراً أو بالغاً يصحّ أن يُسمّى مجروحاً، ولا يقال جريحٌ إلا إذا كان جرحه بالغاً، ومثله المكسور والكسير».<sup>(٦٣)</sup>

وهنا يجب الالتفات إلى أنّ صيغة (فعل) التي تؤدي معنى اسم المفعول يجب انتقاء مادتها المعجمية من حقل الحسيّات أيضاً، كمثلة الدكتور السامرائي، ونُحذّر من حقل الخِلقَة والأخلاق؛ لأنّه يحوّل المعنى إلى الصفة المشبهة نحو: (دميم، وكريم).

واسم المفعول المصوغ من الحقل الحسيّ أقوى من صيغة اسم الفاعل، ذلك أنّ فاعله السحري يتضاعف بوصفه (منفعلاً/فاعلاً)، ومثال ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا).<sup>(٦٤)</sup>

فـ(ملوم) اسم مفعول له قوة مضاعفة؛ وهو حال<sup>(٦٥)</sup> للفاعل الذي فعل الفعل الذي يلام عليه، وهو التذير والإسراف، فأصبح ملوماً على فعله، لكنّ مَنْ يلوّمه؟ الجواب اللائم مجهول؛ لذلك يمكن أن يُقال إنّ كلّ من يلقاه يلوّمه على ما فرط.

ويتضح الفاعل السحري المضاعف في الحال: (محسوراً) في الآية الكريمة، التي يقتضيها المعنى المقامي فحسب، بدلاً من إشراك مقتضيات الإسناد والمقام معاً، في قول الراغب (ت ٥٠٢ هـ): «الحسر: كشفُ الملبس عمّا عليه... والحاسر: المُعيا لانكشاف قواه، ويقال: حاسر ومحسور، أما الحاسر فتصوّراً أنّه قد حسر بنفسه قواه، وأما المحسور فتصوّراً أنّ التعب قد حسره»<sup>(٦٦)</sup>. والصحيح شيء ما قد حسره من دون تعيين الفاعل بـ(التعب)، ما يدلّ على تكثير اللائمين وتلك مزية صياغة اسم المفعول من الفعل المبني المجهول. ولما كان موقع (ملوم) حالاً، فيمكن موازنتها بالحال (اسم الفاعل):

- قعد زيدٌ لائماً.

- قعد زيدٌ ملوماً.

الجملة الأولى تدلّ على أنّ فاعل اسم الفاعل السحري واحد بسيط، في حين تدلّ صيغة اسم المفعول (ملوم)



فالحال (يكون) تصوّر مشهّداً غاية في الندالة؛ لأنّها تُري المُشاهد تناقض أخلاق الشخصية من السرور والضحك إلى تمثيل البكاء والحزن، الذي لا يستمر إلى المستقبل البعيد، إذ يمكن عودتهم إلى حال السرور بعد خروجهم من أبيهم كما كانوا قبل مجيئه. ولو قال: (باكين) لدلّت الحال على مشاعر الندم النبيلة على ما فرطوا به، لامتداد أثر البكاء إلى زمن حدث إلقاء يوسف (ع) في البئر، ابتداءً من نطق الكلام واستمراره إلى المستقبل البعيد. ويصبح ضمير الخبر النكرة الرابط في الجملة القرآنية سحريّاً وليس مسحوراً شاملاً الماضي والآن والمستقبل البعيد.

#### ٦. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر) بهيأة الظروف:

تؤدي الظروف وظيفه (الفعل/الخبر) في جدول إحلال الجملة الفعلية وترفع فاعلاً، وتأتي أخباراً للجملة الاسمية، بحسب الجدول الآتي:

جملة اسمية		جملة فعلية	
خبر بهيأة الظرف	مبتدأ	فاعل	فعل بهيأة الظرف
عندك	زيد	زيد	عندك
في الدار	زيد	زيد	في الدار

وهذه (أفعال/ أخبار) جاءت بهيأة ظرف مكان أُسندت إلى ذوات معرفة، أما ظروف الزمان فتُسند إلى

على أنّ الفاعل السحري مضاعف، فهو الذي فعّل ما يُلام عليه بطرفة عين، أي (بسط اليد كلّ البسط) كصورة ثابتة تمدّ وجودها باتجاه الماضي والمستقبل حال نطقنا بالخبر، وهو الذي أصبح ملوماً على ما فرط به، بمعنى أنّ هذه الصيغة تمثّل تصوير اللحظة الأخيرة الثابتة لفعل التفريط المؤدّي إلى الإفلاس التام الكامل الذي يقتضي كمال فعل ما يلام عليه ووقوع اللوم وتماهه بطرفة عين في وقت واحد.

وكلا المعنيين الواردين بصيغة اسم الفاعل واسم المفعول مختلف عن استعمال الحال بهيأة: (الفعل المضارع)، وذلك قوله تعالى (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ)<sup>(٦٧)</sup>، ف(يكون) صيغة تدلّ على مزاولة حركة تمثيل البكاء محصورة في زمن المضارع؛ لأنّ حال أخوة يوسف واردة في ضمن سرد قصة توظف التمثيل الدرامي للأحداث، وهذه الوظيفة يؤدّيها الفعل المضارع حالاً؛ أي الآن المتصل بالمستقبل القريب، بمعنى أنّهم قبل المجيء كانوا مسرورين بتنفيذ مكيدتهم بأخيهم، وأرادوا إخفاء ذلك السرور بالتمثيل المسرحي المُوهّم لأبيهم، والظهور بمظهر الحزانى على فقدهم أخاهم من دون إرادة منهم. فتطلّب هذا المقام وبلاغة القصّ الدرامي استعمال الفعل المضارع الدال على أداء حركات تمثيل الحزن بحركة النحيب وإسالة الدموع، فقال: (جاءوا يبيكون)، بدلا من: (جاءوا باكين)، التي تدلّ على مدّ زمن البكاء إلى كلّ الأزمنة حال النطق بالخبر، وهو مخالف للحقائق الواقعية والفنية الواردة في قصة يوسف (ع).



الأسماء المعرفة التي تتضمن الحدث نحو القتال من القتل، والهلال من هل يهل، وإن جاءت مبتدآت<sup>(٦٨)</sup>، ويتضح ذلك في الجدول الآتي:

مبتدأ معرفة	خبر نكرة
القتال	يوم الجمعة
الهلال	الليلة

قال سيبويه: «قولك: «القتال يوم الجمعة» إذا جعلت (يوم الجمعة) ظرفاً، و(الهلال الليلة) إنما انتصبا؛ لأنك جعلتهما ظرفاً وجعلت القتال في يوم الجمعة، والهلال في الليلة»<sup>(٦٩)</sup>.

ويوضح ابن السراج سبب عدم جواز الإخبار بظروف الزمان عن الأسماء المحددة المعالم في الواقع المعيش، إذ لا يجوز القول: (زيد يوم الخميس)، ولا (عمرو في شهر رجب)؛ ((لأن ظروف الزمان لا تتضمن الجث، وإنما يجوز ذلك في الأحداث، نحو الضرب والحمد))<sup>(٧٠)</sup>؛ أي أن إسناد الأسماء (الجث) بحسب اصطلاح القدماء إلى ظروف الزمان ليس فيه فائدة خبر، فكل جث العالم من إنسان وحيوان ونبات وجماد موجودة في يوم الخميس، أما أمكنتها فمختلفة، أي نكرة؛ لذلك تصح لإخبار مخاطب يجهلها.

لكننا نخالف ابن السراج في عدّ: (القتال، والهلال) أحداثاً؛ لأننا أثبتنا سابقاً أن الأحداث تؤدي وظيفة الفعل فهي نكرات في ذهن المخاطب؛ لهذا لا تسند

إلى الظروف التي تؤدي وظيفة الأفعال النكرات أيضاً، فالفعل والفعل لا يكونان جملة؛ لأن كليهما نكرة.

ويرجع خطأ ابن السراج إلى أنه ألصق تحليله بالواقع ولم يرجع إلى نظام اللغة لمعرفة ما يحدث من إخصاب في خصائص الوصف السابق الذي كشف عن جانب منه الواقع المعيش، والصحيح يظهر في التفصيل الآتي:

١- لا يجوز إسناد ظرف المكان إلى مسند إليه جثة متغيرة الصورة عبر الزمان؛ لأن التغير خصيصة الزمن، فإذا ثبتت الجثة على صورة معينة واحدة جاز الإسناد إليها، ك(الهلال) الثابت شكله في لحظة ما، فإنه يصح إسناده إلى مكان؛ لأنه أصبح ك(زيد) ثابت الصورة محدد الجثة، كقولنا:

- الهلال بين الجبلين.  
- زيد بين الجبلين.

٢- لا يجوز إسناد ظرف الزمان إلى مسند إليه جثة ثابتة، لانتفاء الفائدة من الكلام، فالجثة الثابتة نحو: (زيد وعمرو) موجودة في كل زمان، وعملية الإسناد إثبات لشيء لم يعلم المخاطب ثبوته أو نفيه، إذن نحتاج مع ظرف الزمان (الخبر) إلى جثة متحوّلة الصورة، كتحوّل صورة القمر بمرور الزمن إلى بدر وهلال وغيرهما. وتغير شكل الشيء يدل على تضمّنه حدثاً وليس كله

لكن قاعدة الجرجاني غير صحيحة دائماً؛ لأن استعمال الجوامد أخباراً يقوّي عملية الاندماج، ولا يهّم بعد ظهور أداة التشبيه،

محاقا، فهو جثة وحدثا متحوّلاً من المحاق إلى صورة الهلال ستتجسد وتحدث الليلة.

وكنّت أولت الظروف لتقريبها للذهن بصيغة اسم الفاعل (مستقر) الذي يلائم الظرف خبراً من حيث استمرار زمنه وثبوت الحدث الذي يُنشِط فكرة الفاعل السحري الذي أنجز الاستقرار بطريقة عين كما هو الحال في اسم الفاعل.

وهنا تبقى خصوصية الظروف المؤدّية وظيفة الخبر بأنّها تضاعف ذات الفاعل الدلالي من جهتين: أولهما: تمثيل حدث الاستقرار.

وثانيهما: تحديد مكان الاستقرار وزمانه بالإضافة المخصصة: (عندك)، و(يوم الجمعة)، أو بالإضافة إلى معرف بـ(ال): العهدية: (في الدار، والليلة)، بدلاً من اسم الفاعل النكرة (مستقر) ليكون هو الخبر، وما يحل محل النكرة فهو نكرة في ذهن المخاطب فقام المتكلم بإلقاء الفاعل الدلالي في قلب المكان، فحلّ به فاعلاً، واحتواه المكان مفعولاً، فهو إذن (فاعل / منفعل)، وهو ما يقوّي الروابط بين طرفي الإسناد، فالمكان مُستقرٌّ لزيد؛ لأنّ زيدا مُستقرٌّ فيه. لكنّ مضاعفة الفاعل السحري في (الأفعال/ الأخبار) بهيأة الظروف لا تجعل صيغة الظرف أقوى من الصفة المشبهة، ذلك

حدثاً كما زعم ابن السراج، إنّما جثة تتضمن الحدث كقولنا:

- الهلال يوم الخميس، أي يصيرُ أو يولدُ هلالاً يومَ الخميس.

ولا يجوز: (زيدٌ يومَ الخميس)؛ لأنّ زيدا لا يصيرُ ولا يولد يومَ الخميس، إلا إذا أراد المتكلم إخبار مخاطبه بأنّ امرأة ستولد طفلاً اسمه زيد يومَ الخميس، أو أنّ زيدا كان له غير هذا الاسم وأراد استبداله بـ(زيد)، وأراد المتكلم إخباره بأنّ معاملة تغيير اسمه ستُنجز يومَ الخميس. ولذلك فكلّ شيء جائر بحسب مقاصد المتكلم، ولا يُعرف ذلك إلا باستعمال نظرية المقام لعرض بنية الجملة المجردة عليها، فضلاً عن عرضها على الدلالة المعجمية التي تفحص معاني البنية المجردة للجملة بالإشارة إلى الواقع، وهو ما يسمّى بالتفسير.

وهكذا يُصبح الإخبار بظروف الزمان قوياً خصب المعاني؛ لأنّه يولد صورة متحركة عبر الزمن، إذ تجعل الأسماء المُبتدأ بها (الجثث) جثثاً تتضمن معنى الحدث؛ لأنّ الخبر بهيأة (ظرف الزمان) يجعلها دالة على جثث متحوّلة بصيرورة عبر الزمن، وتصبح الأخبار خصبة أيضاً؛ لأنّ وظائفها النحوية تصبح مضاعفة، فهي تصوّر صيرورة الحدث زمانياً، والصيرورة تتطلب مكاناً بالضرورة، فتكون ظروف الزمان أزمنة وأمكنة للقتال، وللهلال في وقت واحد، فهي: (خبر إسنادي/ ظرف دلالي: زماني مكاني)؛ أي أنّ اسم القتال الجثة المعرفة عند طرفي التواصل سيتجسد جثةً وحدثاً يوم الجمعة ومبتدأً إسنادياً، وأنّ صيرورة الهلال هلالاً بعد أن كان

وعلى هذا الأساس تكون البلاغة العربية القديمة قد أخطأت في قاعدتها الشهيرة: "التشبيه المؤكد: هو ما حُذفت أداته،

أن تلبسَ الفاعل الإسنادي بالحدث في الصفة المشبهة يكون تلبساً كبيراً حتى يصبحا وكأنهما واحداً، فقولنا: (زيدٌ طويلٌ)، تعبير قويٌّ يكون فيه (زيد) وطوله واحداً، و(زيد) وكرمه واحداً؛ لأنَّ الحدثَ المتضمَّن في صيغة الصفة المشبهة يدلُّ على أخلاقٍ أو خلقه.

أما الظرف والمظروف فيه فمهما تلبس بعضهما ببعض إلا أنَّهما يقيان اثنتين، ذلك أنَّهما حسيان ويصعب على الإدراك أن يدمج الذوات بأمكنتهما وأزمنتها التي هي ميدان لحركتها ومقياس لها، بخلاف قولنا: (زيد كريم)، إذ لا يمكن فصل زيد عن كرمه؛ لهذا يمكن أن نقول: زيد هو الكريم، الكريم هو زيد في الوقت نفسه، ولا يمكن أن نقول في جملة: (زيد في الدار) إنَّ زيدا هو (في الدار)، وإنَّ (في الدار) هو زيد، بعكس الترتيب.

#### ٧. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر) بهيأة اسم الآلة:

يؤدي الحدث المُتخيَّل في (اسم الآلة) وظيفة (الأفعال/الأخبار) المستمرة الزمن في جدول إحلال الجملة الفعلية والاسمية كالآتي:

جملة اسمية		جملة فعلية	
مبتدأ	خبر	فاعل	فعل
زيدٌ	منشأٌ	زيدٌ	منشأٌ

وقد استعمل الحطية لفظة: (غربال) حالاً، والحال خبر ثان، وذلك في هجائه لأُمَّه قائلاً:  
أغربالاً إذا استودعتِ سرّاً وكانوا على المُتحدِّثينا<sup>(٧٢)</sup>

وتعني كلمة (غربال) أنَّها فاشية للأسرار، وقد عزز هذا المعنى في الشطر الثاني فوصفها بأنَّها (كانون) والكوانين: «الثقلاء من الناس... وقيل [الكانون] الذي يجلس حتى يتحصَّى الأخبار والأحاديث لينقلها»<sup>(٧٣)</sup>.

وتظهر قوة الفاعل السحري في صيغة اسم الآلة المستعملة (فعلاً/خبراً) من دمج الاستعاري لحقلين دلاليين متباعدين: حقل الآلات وحقل أخلاق الإنسان. وجمال هذه الاستعارة ناشئ من بُعد بعض الحقلين عن بعض، فضلاً عن الصورة المتحركة التي تظهر في طرفها الثاني: (المشبه به)، إذ تُوحى جملة: (زيد منشأ) بصورة الآلة المتحركة ذهاباً وإياباً، وكذلك: (زيد مبرد)، أو (زيد منخل)، أو (زيد مطرقة) إلى غير ذلك.

وقوة الفاعل السحري آتية من تصوير محاكاة الحدث التي يمثلها الفاعل الدلالي (زيد) ممسوحة على خشبة الخيال، الذي يُنشِط الكفاية التأويلية للمتلقى فيحصل الأثر الجمالي المطلوب عن طريق اكتشاف قوة الفاعل المضاعفة بوصفه (فاعلاً منفعلاً)، فـ(منشأ) مثلاً يعني مؤذٍ، ويؤوِّل باسم الفاعل، الذي وقع أثره على من يتأذَّى به؛ لأنَّه فعل كلِّ الأفعال التي تؤذي بصيغة مبالغ بها، عن طريق الصورة المتحركة جيئةً وذهاباً.

#### ٨. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر) بهيأة الجوامد:

كثيراً ما تلبس الجوامد المستعملة لأداء وظيفة (الأفعال/الأخبار) بالأسماء المحضة؛ لأنَّها تُوهم بالإشارة إلى جث، ولكنَّها حين تحلُّ محلَّ الفعل وترفع فاعلاً، أو تأتي أخباراً للمبتدآت المعارف المتقدِّمة في

والخوالف علينا أن نؤوّلها بحسب ما هو واضح في الجدول الآتي:

الجملة	الفعل	الفاعل	تأويل الفعل	المصطلح القديم
أسدٌ زيدٌ	أسدٌ	زيدٌ	شجاعٌ	صفة مشبهة
قلبٌ زيدٌ	حجرٌ	قلبٌ زيدٌ	متحجّرٌ	اسم فاعل
جبلٌ زيدٌ	جبلٌ	زيدٌ	ثابتٌ أو رزنٌ	اسم فاعل / صفة مشبهة
هيهاتٌ	هيهاتٌ	السفرٌ	ميثوسٌ منه	اسم مفعول

نلاحظ أنّ تأويلنا القريب لمعاني الأفعال الجامدة والخالفة تتدرج بين الصفة المشبهة واسم الفاعل واسم المفعول. وهذا التأويل بحسب منهج النحو الوظيفي مجرد إجراء تحليلي يقرب معنى الحدث المضمر في صيغة الجامد إلى أذهاننا؛ لهذا لا نعول على معاني التأويل، ذلك أنّ قوة الفاعل السحري في الفعل الوارد بهيئة الجامد والخالفة تكون عظيمة؛ فلفظة (حجر) التي أولناها بـ (متحجّر) تدلّ على أنّ التحجّر بلغ غايته القصوى حتى أصبح حدث التحجّر مطابقاً لاسم الذات في اللفظة. وهذا يدلّ على أنّ قوة إنجاز الفاعل السحري في الجوامد كبيرة؛ لأنّها تمدّ زمانها في أعماق الماضي السحيق وتعود به نحو المستقبل البعيد، بدليل أنّنا نطلق

الجملة الاسمية، فإنّها تكون قويّة الإخبار، بفضل فاعلها السحري الملتصق بها لصوق الاسم على مسماه. ويمكن عدّ الأفعال التي وردت بهيئة اسم الفعل (الخوالف) من الجوامد بحكم عدم تصرّف صيغها؛ فهي كالجوامد التي سُمّيت بهذا الاسم؛ لأنّها لا تتصرّف. وقد يرى اسم الفعل أنّه أقلّ قوة من الجوامد، وهذا خطأ سببه التأويل بمعنى الفعل، نحو (هيهات) الذي يؤوّل بمعنى: (بعُد)؛ لذلك يجب الحذر من هذا التأويل الذي يُحدّد الزمن بالماضي، وعليه فالأفضل تأويل: (هيهات / السفر) باسم المفعول: (ميثوس / من السفر)، وبهذا يتمدّد الزمن نحو الماضي والآن والمستقبل إلى أبد الأبدين؛ لأنّه يصبح مُعبّراً عن حال نفسيّة.

ويُعرف حدث التركيب (ميثوس / من السفر) بقاعدة التأمل في مقاصد المتكلم، الذي أراد أن يُسند حدث اليأس إلى السفر، فـ (السفر) مسند إليه فاعل، وحدث اليأس مسند (فعل)، والجملة فعلية؛ لتقدّم فعلها على فاعلها المجرور لفظاً بـ (من) بمعنى (استحقاق) <sup>(٧٤)</sup>، أي: اليأس استحقاق السفر.

وبحسب قاعدة التواسم بين الاسم المعرفة والخبر النكرة فإنّ الأسماء المحضة سواء أكانت في موقع المبتدأ أم في موقع الفاعل تسمّ الجوامد والخوالف بميسم الفعلية والتنكير، وتجعلها أخباراً أو أفعالاً من حيث وظيفتها في الجملة، لتتمّ عملية الإسناد المفيد الذي يديم التواصل بين المتكلم والسامع بأخبار مستمرة الزمن.

ولغرض فهم الحدث الذي تتضمنه الجوامد

من النتائج المهمة التي توصل إليها  
البحث هو التحذير من فصل معاني  
أنظمة مستويات الكلام اللغوية: (الصرفية  
والنحوية والدلالية من جهة)، ومعاني نظام  
المستوى المقامي: (مقاصد المتكلم وتأويل  
المخاطب) من جهة أخرى التي قد لا نعثر  
عليها متجسدة بألفاظ ظاهرة

اسم المتحجرات على الكائنات القديمة جداً التي بقيت  
آثارها هيكلها نقوشاً في الحجر، فإذا أمحت النقوش صار  
المتحجر حجراً بحصول تحول نوعي فيه.

وهذا المعنى لا يؤدّيه التشبيه بالأداة (كأن) كأن نقول:  
(زيد كأنه الأسد، وقلب زيد كأنه حجر...) إلى غير ذلك؛  
ذلك أن المشبّه والمشبّه به في أسلوب التشبيه يوحيان  
بأنهما اثنان، واستعمال الجوامد توحى بالتوحد الكامل  
بين ركني الجملة الظاهرين؛ فهي تدلّ على المبالغة الآتية  
من شدة الاندماج بين حقلين دلاليين متنافرين، ويكون  
التركيب تركيباً استعارياً، قال الجرجاني: «إنك إذا قلت:  
رأيت أسداً، كنت قد تلطّفت لما أردت إثباته له من فرط  
الشجاعة... وذلك أنه إذا كان أسداً، فواجب أن تكون  
له تلك الشجاعة العظيمة، وكالمستحيل أو الممتنع أن  
يُعرّى عنها، وإذا صرّحت بالتشبيه فقلت: (رأيت رجلاً  
كالأسد).. كنت قد أثبتتها إثبات الشيء يترجّح بين أن  
يكون وبين أن لا يكون».<sup>(٧٥)</sup>

لكن قاعدة الجرجاني غير صحيحة دائماً؛ لأنّ

استعمال الجوامد أخباراً يقوّي عملية الاندماج، ولا  
يهمّ بعد ظهور أداة التشبيه، وعليه يمكن أن نسمّي  
التشبيه بالجوامد بـ (التشبيه الجريء)، ومنه قوله تعالى  
(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ  
قَسْوَةً...) (٧٦)

فـ (قلوبكم كالحجارة) تشبيه بحكم وجود الأداة،  
ولكنّه تشبيه نوعي جريء؛ لأنّه استعمال الجامد مشبّه  
به، ما يمنحه قوةً انجازية عظيمة؛ إذ يعني: أن القلوب  
تحجّرت تحجّراً مبالغاً فيه، ومعنى المبالغة ناتج من  
استعمال اللفظ الجامد (حجارة) مشبّه به لما يتضمّن  
من فاعل سحري عظيم الإنجاز يمدّ زمنه نحو الماضي  
السحيق إلى المستقبل البعيد.

وعلى هذا الأساس تكون البلاغة العربية القديمة قد  
أخطأت في قاعدتها الشهيرة: "التشبيه المؤكّد: هو ما  
حُذفت أداته، مثل تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِداً  
وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) (٧٧)... مقابل التشبيه المُرسَل  
بخلاف المؤكّد، وهو ما ذُكرت أداته".<sup>(٧٨)</sup>

لم يكن القزويني (ت ٧٣٩هـ) موفقاً في اختيار مثاله  
الذي ضرب به: (وهي تمرّ مرّ السحاب)؛ ذلك أن قوة  
التوكيد لم تأت من حذف أداة التشبيه فحسب، إذ لم  
يقُلِ الله تعالى: (وهي تمرّ كمّر السحاب)، وهذا التقدير  
المفترض مؤكّد أيضاً؛ لأنّه تشبيه جريء، وتوكيده آت  
من استعمال القوة الإنجازية للفاعل السحري المتضمّن  
في المصدر التي لا توازيها قوة أي من المشتقات. ويلي  
المصدر قوة استعمال الجامد: (فهي كالحجارة). لا  
بسبب استعمال حرف التشبيه: (الكاف) هنا وحذفه

هناك؛ لأن التشبيه الجريء لا يتقيد بهذا الإجراء، وإنما يتقيد بقوة المشتق نفسه الآتية من قوة فاعله السحري من حيث الأفراد والمضاعفة والمهارة والغلبة بالمفاضلة المطلقة من جهة، والقوة المطلقة في المصدر، فضلاً عن زيادة مد الزمن المستمر باتجاه الماضي والمستقبل؛ لهذا قد يكون التشبيه بليغاً مع ذكر أداة التشبيه وحذفها في وقت واحد، نحو: (حجرٌ قلبٌ زيد، وقلبٌ زيدٌ كحجرٍ)، بفارقٍ هو أن الجملة الأولى موجزة بحذف الكاف.

إن جرأة التشبيه آتية من عدة عوامل ذكرتها سابقاً، ويُضاف إليها عامل دلالي معجمي آتٍ من دمج حقلين دلالين متنافرين جداً: (ثبوت الجبال لثقلها الكبير × حركة السحاب لخفته الكبيرة)، ولا عبرة بعد ذلك في

**فالسمة الجمالية تُدرك مجتمعة، والعلم بأسرارها يُدرك بالتحليل غير المسرف.**

وجود أداة التشبيه أو حذفها؛ لذلك يمكن ضرب القاعدة البلاغية السابقة بنحو قولنا:  
- قلبك حجرٌ.

- الجبال كالسحاب، أو الجبال كالعهن (الصوف)، أو كالعهن المنفوش.

فالجملة الأولى أضعف من الجملتين الآخرين، على الرغم من حذف أداة تشبيهها؛ وعليه فالتشبيه المحذوف الأداة في قوله تعالى (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا

جَامِدَةً وَهِيَ تَمُورُ مَرَّ السَّحَابِ، لا يقل جرأة عن التشبيه في قوله تعالى: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) <sup>(٧٩)</sup>، وقوله تعالى: (كُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) <sup>(٨٠)</sup>، لكن هناك فروقٌ في استعمال المصدر (مر) الذي فاعله السحري أقوى من الفاعل السحري للجامد (العهن). ما يدل على أهمية النظر إلى الحقول الدلالية التي تزيد قوة التشبيه إذا كانت متباعدة جداً: (جبل / ثقلٍ جداً + صوف / خفيف جداً).

نستنتج مما تقدّم أن مقولات البلاغة جاءت مبتسرة ولم تفصل في تحليل قوة التعبير الإنجازية بالعدول عن صيغ الفعل الصريح الزمن إلى الصيغ المستمرة الزمن التي تأتي بأشكال مختلفة تتفاوت قوتها، بسبب عدم اكتشافهم لمقولات الحقول الدلالية واستثمارها في بلاغة الصور البيانية، وعدم اكتشافهم للفروق الدقيقة بين المشتقات المختلفة ونحوها المستعملة مسنداً عن طريق مضاعفة الفاعل السحري فيها، ومدّها للزمن المستمر المتضمن فيها بكافة الاتجاهات يضيق مدّها ويتسع فيصوّر قاعدة متغيرة تُبين مدى استقرار الفاعل السحري في الصيغ المختلفة.

**٩. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر) بهيأة اسم العلم والكنية:**

الإخبار باسم العلم والكنى يكون قوياً كالإخبار بالصفة المشبهة؛ لأن فاعلهما السحري مضاعفا: (فاعل / منفعل)، بفارق هو أن الزمن الذي يُوحى به الخبر بصيغة: (العلم، والكنية) يقوّي الإخبار بمدّ أثره في الماضي والآن والإيغال في المستقبل البعيد جداً



ت	جمل الاسمية	مبتدأ/ اسم معرفة	خبر/ نكرة	تأويل الخبر
١	(اللَّهُ رَبُّنَا)	الله	رَبُّنَا	أي: مالكننا
٢	(رَبُّنَا اللَّهُ)	رَبُّنَا	الله	أي: يسمى الله

يكشف هذا التأويل بسهولة عن تضمّن (الأفعال/الأخبار) باسم العلم بأنه يتضمّن فاعلاً سحرياً رابطاً أغمض من التي أخبارها مشتقة؛ وكلا منهما متضمن للفاعل السحري الذي يجعل الخبر فعلاً نكرة، وإلا فلا وجود لجملة؛ لأننا أثبتنا سابقاً عدم إمكان ترابط (الاسم مع الاسم)؛ وعليه فجملة: (الله ربنا) أضعف من جملة: (ربنا الله) لشدة خفاء الفاعل السحري في الخبر النكرة بهيأة اسم العلم: (الله)، ولكل جملة مقامها.

فالجملة الأولى اسمية أصيلة؛ لأنها ابتدأت بالاسم المحض الذي يحدّد مرجعه بنفسه في الواقع، بوصفه موضوعاً ثابتاً لا يمكن نفيه؛ لأنه وجود أخبرنا عنه بحدث (الرب) الممكن إثباته ونفيه، أما الجملة الثانية فغير أصيلة: (ربنا الله)، ولكنها أقوى من الأولى لتضمنها تحويلين:

أولهما: تحويل المشتق (ربنا) إلى اسم معرفة عند طرفي الاتصال، بمعنى أنّ عملية الربّ: (التمك، والإصلاح) حصلت فعلاً وكثرت حتى أصبحت كالجثة لها وجود لا يُنفى ملتصقاً بالمربوبين، فاستعملها القرآن

حتى لو قلت إنّ المتكلم يريد به أن يمدّ أثر خبره إلى ما بعد يوم القيامة لما أخطأت؛ لإيمان متكلم العربية بالبعث والنشور الذي يحتفظ فيه المبعوث باسمه وكنيته، بخلاف الصفة المشبهة التي عرفنا من أسرار قوتها هو إمكان تصوير ثبوتها عن طريق التوغل في الماضي لتحقيق ثبوتها في ذهن بوصفها صفة امتدت مدة طويلة ملتصقة بالموصوف وكأنّها تاريخ يكشف عن تجربة أو برهان، فقولنا: (زيد كريم)، يُعبّر عن التصاق الكرم أخلاقاً، ولا تتصور أنّ كرمه يمتد إلى ما بعد وفاته. أمّا أسماء الأعلام والكنى فيمكن تصوّر ثبوتها بالماضي من زمن التسمية والتكنية، اللتين لا تريان كأنّهما تاريخ يمثل إرادة الموصوف بهما، كالصفة المشبهة المُعبّرة عن إرادة أخلاقية، أو صفة خلقية، لكنّ خبر التسمية والتكنية يلاصق المُخبّر عنه إلى الأبد. وتكون التكنية أحدث من التسمية من حيث تمددها في الماضي في الأعم الأغلب.

ومن هنا يمكن إثبات الفروق الدلالية بين الأخبار بالاسم العلم (الله) في قوله تعالى: (رَبُّنَا اللَّهُ)<sup>(١)</sup>، والأخبار بـ(ربنا) المشتق من: (ربّ يرّب، فهو ربّ بمعنى مالك ومُصلح) في قوله تعالى: (اللَّهُ رَبُّنَا)<sup>(٢)</sup>، وكلتا الجملتين اسمية بالضرورة بحسب قاعدة الموقع الأول المخصص للاسم المعرفة في مثل هذه الجمل؛ لتساوي طرفيها بالتعريف الشكلي. وبوساطة قاعدة التواسم يسّم الاسم المبتدأ الركن المتأخّر عنه بميسم الفعلية والتذكير في ذهن المخاطب فيصح وقوعه خبراً، بحسب الجدول الآتي:



الكريم موضوعاً للكلام، فهي مسند إليه مبتدأ معرفة؛ لهذا تحتاج إلى مُسند (فعل نكرة) هو (الله)، بحسب قاعدة التواسم.

ثانيهما: تحويل اسم العلم (الله) إلى مسند نكرة، باختياره واحداً من بين أسماء الآلهة المتعددة التي اعتقد المتلقي أنهم يحدثون عملية الرب المتجسدة أمام أعيننا، لكن المتكلم اختار اسم (الله) من بينها، وكأنه قال: (ربنا/ يُسمّى الله)، فتكير (الله) ليس تنكيراً لذات الاسم العلم، وإنما تنكير في ذهن المتلقي؛ لأنه لا يعرف تسمية الرب بهذا الاسم، لوجود عدة أسماء في ذهنه ملتبسة نحو: (هبل، واللات، والعزى، والله...). فقلنا له: (ربنا الله).

ويؤيد السياق اللغوي لقوله تعالى الثاني هذا المعنى، وقد أكدّه النبي (ص) أيضاً بالنسق نفسه، أي بالإخبار بالاسم العلم، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...) (٨٣)، وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٨٤).

والاستقامة تطبيق صادق لادعاء القول ذي القوة الإنجازية الكبيرة؛ لأن خبره اسم العلم (الله)، وقد سُئِلَ الرسول (ص) عن أمر يعتصم به، فقال: «قل: ربّي الله، ثم استقم». (٨٥) فجاء خبر جملة الرسول (ص) باسم العلم (الله) أيضاً.

وكذلك اشترط الله تعالى نصرة الذين ظلموا عندما يقولون: (ربنا الله) وليس العكس، وذلك قوله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ\*... إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) (٨٦)، في حين احتاجت جملة: (الله ربنا) إلى تكملة لمنع احتمال وجود رب آخر عند مخاطبة من يؤمن بغيره تعالى رباً (٨٧)؛ وذلك قوله: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ... وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) (٨٨)، فالمعطوف: (وربكم) ينفي احتمال وجود أرباب كثيرة: رب لنا، ورب لكم؛ لأن جملة: (الله ربنا) احتمالية.

#### ١٠. قوة الفاعل السحري في (الفعل/الخبر)

##### بهيأة المصدر:

تسلك المصادر في التعبير عن قوتها سلوكاً مخالفاً للجوامد، فإذا كانت الجوامد يتضخم فيها الفاعل السحري المتضمن في صيغها، حتى يكاد يختفي الحدث فيها، فإن المصدر بالعكس يتضخم فيه الحدث حتى يكاد يختفي فيه (الفاعل السحري) عندما تستعمل المصادر أفعالاً في الجمل الفعلية وترفع فاعلاً، أو أخباراً للجمل الاسمية بحسب ما يتضح في الجدول الآتي:

جمل اسمية	جمل فعلية
زيد/ عدل	- عدل/ زيد
ابن نوح/ عمل	(إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) (٨٩).

نلاحظ في الجملتين السابقتين أن لفظ المصدر قد أنجز حدث: (العدل، والعمل غير الصالح) بكمال

التحليل يؤدي إلى نسيان تفاعل بعض معاني المستويات مع بعض، ما يفقدنا إدراك السمة الجمالية للكلام وسحر بيانه، الذي دفعنا بدءاً للتحليل، وهو مهم جداً؛ لأنه معنى المعنى الذي لا يُدرك إلا بتجميع ما حللناه لغرض معرفة أسرارها، فالسمة الجمالية تُدرك مجتمعة، والعلم بأسرارها يُدرك بالتحليل غير المسرف.

٢- استطاع مصطلح الفاعل السحري وضع الفروق المعنوية الدقيقة بين أنواع (الأفعال/ الأخبار) المستمرة الزمن، بما يفصل مصطلح (الثبوت) بآليات عديدة: (مدّ الزمن بكافة الاتجاهات، والإيغال في أحد الاتجاهات، ومضاعفة الفاعل السحري بالتكثير المتشابه، والتكثير المتضاد (فاعل/ منفعل)، فضلاً عن مراعاة تدخل الدلالة المعجمية والخبرة غير اللغوية، التي حذرنا منها كي لا تعبت بمعاني النظام الصرفي/ النحوي، فلا نهملها ولا نترك حبلها على الغارب، لأن كلا الإجراءين منفرداً يؤدي إلى خلل منهجي.

٣- كشفت هذه المحاولة التجديدية عن حجم المشكلة التي وقعت في أصول النحو التقليدي، وقد تسللت إلى فروعها، وبقيت تتناسل أخطاؤها حتى الآن، ولم تستطع المحاولات الإصلاحية التي اعترضت

مثالي، أو بقدرة قادر (كن فيكون)؛ لأنّ المصدر يصوّر حدث الجملة وكأنّه حَدَثَ وحده من دون وجود فاعل سحري فيه، لكنّ هذا الإيهام بنفي وجود الفاعل السحري يجعله (فاعل/ منفعل) مطلق القوة، بخلاف الدكتور فاضل السامرائي الذي عدّ كلّ المصادر مجردة من الذات إطلاقاً، و(الذات، أو الفاعل المضمر) عنده، هو ما اصطلحت عليه (الفاعل السحري) الرابط النكرة، وذلك قوله: «إنّ المصدر الميمي في الغالب يحمل معه عنصر الذات بخلاف المصدر غير الميمي فإنّه حدثٌ مجردٌ من كلّ شيء»<sup>(٩٠)</sup>.

وقد أكد وجوده جُلّ النحاة التقليديين. ونقل ابن السراج جزم الأخفش (ت ٢١٥هـ) بوجوده، وذلك قوله: «إنّ كلّ مصدر قام مقام الفعل ففيه ضميرٌ فاعل، وذلك إذا قلت: سقياً لزيد، وإنّما تريد: سقى الله زيدا... ولو قلت: أكلاً زيد الخبز وأنت تأمره، كان جائزاً، كقوله: "فندلاً زريق المال ندلّ الثعالب"»<sup>(٩١)</sup>.<sup>(٩٢)</sup>

## الخاتمة

١- من النتائج المهمة التي توصل إليها البحث هو التحذير من فصل معاني أنظمة مستويات الكلام اللغوية: (الصرفية والنحوية والدلالية من جهة)، ومعاني نظام المستوى المقامي: (مقاصد المتكلم وتأويل المخاطب) من جهة أخرى التي قد لا نعثر عليها متجسدة بألفاظ ظاهرة. والفصل بين المستويات مهم جداً للعلم بأسرار نظام كلّ مستوى على حدة بتقنية التحليل، وإلا عبث نظام مستوى بنظام مستوى آخر، لكنّ الإسراف في

كشفت هذه المحاولة التجديدية عن حجم المشكلة التي وقعت في أصول النحو التقليدي، وقد تسللت إلى فروعها، وبقيت تتناسل أخطاؤها حتى الآن

## الهوامش

\* د. توماس غازي الخفاجي، يحمل شهادة الدكتوراه تخصص دراسات قرآنية أسلوبية ولغوية، من جامعة الكوفة، عام ٢٠١٠م، تدريسي في الكلية الإسلامية الجامعة، العراق/ النجف، مؤلفاته المطبوعة: البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، (٢٠١٢)، سيميائية إيقاع القرآن الكريم وفواصله، رسالة في إعجاز المستوى الصوتي، (٢٠١٢)، الشاعر العراقي الملتزم، عبد الصاحب البرقعاوي، تحقيق ودراسة موضوعاته الشعرية وفنه، (٢٠١٥)، مباحث في نقد الشعر العراقي الحديث، (٢٠١٥).

١ ظ: فرانك نوفو، قاموس علوم اللغة، ترجمة صالح الماجري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٢م: ٢١٤-٢١٥.  
٢ سيبويه (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م): ٤٨/١.  
٣ الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م): ٥٢٧.

٤ البنية العميقة يقصد بها نمط الجملة المجرد في الذهن الذي ينسج المتكلم على منواله التمثلات الدلالية المنجزة، أو البنية السطحية. ظ: اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، د. مصطفى غلفان، وآخرون، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٠م: ١٢٤.  
٥ الرجز لأُمّ عقيل فاطمة بنت أسد. الأنصاري، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت، ط٥، ١٩٦٦م: ١/ ٢٠٥، ابن عقيل، بهاء الدين (ت ٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الغدير، قم، ط١، ١٤٢٩هـ: ١/ ٢٦١، الخضري، محمد بن مصطفى (ت ١٢٨٧هـ)، حاشية الخضري على مغني اللبيب، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م): ١/ ٢٥٨.

٦ ظ: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م): ١٥١، ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: د. كمال بشر، دار

سبيلها بعد سيبويه أن تُوقف هذا الانحراف؛ لأنّ المنهج البنيوي الشكلي المتبع المعزز بالفروض والقواعد المنطقية جعلت منه يُرى وكأنّه صرّحٌ مُحكم البنين. ومثل هذا البناء المُحكم لا تقدر أن تززع أركانها إلا محاولة جريئة تعتمد على مبادئ صحيحة ونظام استنتاجي قائم على فروض مبرهن على صحتها تنتج مجموعة من المصطلحات العلمية الإجرائية النابعة من طبيعة اللغة العربية الفصيحة وهي تؤدي وظيفتها التواصلية ومنها التواصل بالجمال الذي هو نوع خاص من التواصل قامت عليه أذواق حضارة العرب قبل الإسلام وحضارة المسلمين عموماً بعد نزول القرآن الكريم.

## تومان غازي الخفاجي: معاني أبنية (الفعل/الخبر) في الجملة العربية الخيرية البسيطة

- ١١ ظ: ابن السراج، الأصول في النحو: ١/١٣٠-١٣١، ابن مالك، شرح التسهيل: ١/٢٦٤، شرح ابن عقيل: ٢/٦٢، الفاكهي، عبد الله بن أحمد (ت ٩٧٢هـ)، شرح الحدود النحوية، تحقيق: د. محمد الطيب الإبراهيم، دار النفائس، بيروت، ط ١، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م): ١٣٥.
- ١٢ ظ: الفراء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وزميله، دار السرور، (د.ت): ٢/٤٣، و ٢٢٢.
- ١٣ ظ: د. عمر ظاهر، تأملات في فلسفة اللغة، الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، ط ١ (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م): ٦٠.
- ١٤ ظ: ابن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل للزنجشري، تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م): ٢/٤.
- ١٥ ظ: شرح ابن عقيل: ١/١٨.
- ١٦ ظ: سيبويه، الكتاب: ١/٤٠.
- ١٧ المثال لم يضره سيبويه، ولكنه مفهوم من وصف الزمن الكائن ولم ينقطع.
- ١٨ ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ١/١٩.
- ١٩ ظ: المخزومي، مهدي، قضايا نحوية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م: ٣٦.
- ٢٠ ظ: الأنصاري، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، مغني اللبيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ت): ٢/٤٩٢.
- ٢١ المخزومي، مهدي، النحو العربي نقد وتوجيه: ٤٠.
- ٢٢ المصدر نفسه: ٤٠.
- ٢٣ تفيد هذه القاعدة بأن العناصر اللغوية التي يمكن أن يحل بعضها محل بعض تكون متشابهة. ظ: ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح وزميلته، المجلس الأعلى للثقافة، بلا، ط ٢، ٢٠٠٠م: ٣٣٢.
- ٢٤ الجرجاني، دلائل الإعجاز: ١٨٦.
- ٢٥ ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي التّجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٢م: ٣/٣٤٠-٣٤١، ابن يعيش، شرح المفصل: ٢٤٦/١.
- ٢٦ ظ: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت): ١٠٦.
- ٢٧ سورة الكهف: ١٨.
- ٢٨ دلائل الإعجاز: ١٧٥.

- غريب، القاهرة، ط ١٢، ١٩٩٧م: ٦٦.
- ٧ ظ: الأنباري، عبد الرحمن (ت ٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٨هـ/١٩٩٨م): ١/٦٤، مسألة (٧).
- ٨ ظ: عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتاين، دار المعارف، القاهرة، (د.ت): ٤٥٠.
- ٩ ابن السراج، محمد بن سهل (ت ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط ٤ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م): ١/٦٤.
- ١٠ ولدت هذه المسألة خلافاً عقياً بين البصريين والكوفيين، لاعتقاد النحاة أنّ هذه العلامات فواعل، وبهذا تولد عندهم تناقض منطقي وهو ظهور فاعلين للفعل الواحد، وتناقض بنيوي؛ إذ يختفي مع الفعل المفرد، ويظهر مع المثني الجمع؛ لذلك تتجنب رؤيتنا وصف هذه العلامات بأنها فواعل؛ فهي علامات أفراد وتثنية وجمع للفعل، لها حجم المقطع الواحد عند تثنية الفعل وجمعه، وحجم الصفر إذا كان الفعل مفرداً كالأتي:

فعل	فاعل	علامة العدد في الفعل
قام	زيد	xxx
قاما	الزيدان	ألف
قاموا	الزيدون	الواو

وقد حذفت اللغة العربية في إحدى مراحل تطورها هذه العلامات، من الجملة الفعلية. وبقيت منها شواهد منها آيات: (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ) (المائدة: ٧١)، (وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) (الأنبياء: ٣)، وحديث نبوي واحد هو (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار). البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ: ١/١٥٧، ح (٥٥٥). وشواهد الشعرية. ظ: يحيى عباينة وأمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م): ١٤٥-١٤٦.

أما في الجملة الاسمية فإنّ علامات التثنية والجمع لم تحذف؛ لأنّها تؤدي إلى اللبس. ظ: ابن مالك، محمد بن عبد الله (ت ٦٧٢هـ) شرح التسهيل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م): ١/٢٦٤، ظ: محمد بن جمال الدين بن مالك (ت ٦٨٦هـ)، شرح ابن الناظم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠م: ٧٦، ظ: شرح ابن عقيل: ٢/٦٤.

- ٢٩ ظ: د. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، جامعة الكويت، مكتبة الآداب، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م): ٤٦-٤٧.
- ٣٠ سورة إبراهيم: ١٠.
- ٣١ سورة المدثر: ٤٩.
- ٣٢ سورة البقرة: ٣٠.
- ٣٣ سورة الأنعام: ٩٥.
- ٣٤ السيوطي (ت ٩١١هـ)، الأشباه والنظائر في النحو، وضع حواشيه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م): ٢٢٣-٢٢٤.
- ٣٥ سورة الطور: ٢٨.
- ٣٦ ظ: الكشاف، الزمخشري: ٦٣٠/٣.
- ٣٧ ظ: روح المعاني، الألوسي: ٤٩٩/٢٢.
- ٣٨ نهج البلاغة، ضبط نصه وأبتكر فهارسه العلمية د. صبحي الصالح، مطبعة رسول، قم، إيران، ط ١، ١٤٢٦هـ: ٤٨-٤٩.
- ٣٩ ظ: روح المعاني، الألوسي: ٤٩٨/٢٢.
- ٤٠ ظ: الأنطaki، محمد، المحيط، مكتبة دار الشرق، شارع سوريا، بيروت، ط ١، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م): ٢٤٢/١.
- ٤١ ظ: المصدر نفسه: ٢٤٣/١.
- ٤٢ سورة الأعلى: ١٧.
- ٤٣ ديوان الفرزدق، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم، بيروت، ط ١، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م): ١٥٥/٢، ظ: شرح ابن الناظم: ٣٤٥، شاهد رقم (٣٤٥)، السيوطي، الأشباه والنظائر: ١٩٣/٣، شاهد رقم (٥٢٠).
- ٤٤ شرح ابن الناظم: ٣٤٥.
- ٤٥ سورة المنافقون: ٧.
- ٤٦ لإبعاد الجدل البيزنطي حول مسألة أيهما أصل الفعل أم المصدر؟ يرى الباحث أن أصل المشتقات هو المادة اللغوية كما وصفها ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة، هكذا: (ك، ت، ب) مثلاً.
- ٤٧ الأندلسي، ابن حيان (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م): ٣٨٢-٣٨٣.
- ٤٨ ظ: الأنطaki، المحيط: ٢٣٨-٢٣٩.
- ٤٩ ابن يعيش، شرح المفصل: ١٠٨/٤.
- ٥٠ ظ: فرانك نوفو، قاموس علوم اللغة: ٣٢٦.
- ٥١ ظ: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط ٥،
- (د.ت): ٢٣٨/٣.
- ٥٢ ظ: الأنطaki، المحيط: ٢٤٠/١.
- ٥٣ قبش أحمد، الكامل في النحو والصرف والإعراب، دار الرشيد، دمشق/ بيروت، ط ٦، ١٩٨٥م: ٣٤١.
- ٥٤ د. رابح بومعزة، صور المشتقات الأحد عشر والمصادر المحولة، توجيهها الصوتي والدلالي، الربع الثاني من القرآن الكريم أنموذجا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١١م: ٣٨، و ٤٣.
- ٥٥ ابن يعيش، شرح المفصل: ١٠٨/٤.
- ٥٦ عباس حسن، النحو الوافي: ٢٣٨/٣.
- ٥٧ د. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية: ٥٣، وانظر مصدره: ابن يعيش، شرح المفصل: ١٠٨/٤.
- ٥٨ ظ: د. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية: ٥٣.
- ٥٩ ظ: الجرجاني، دلائل الإعجاز: ١٧٥، الأندلسي، البحر المحيط: ٣١/١، ٣٢، د. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية: ٤٧.
- ٦٠ الفاكهي، شرح الحدود النحوية: ١٤١.
- ٦١ د. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية: ٤٦.
- ٦٢ المصدر نفسه: ٤٧.
- ٦٣ المصدر نفسه: ١٢/١.
- ٦٤ سورة الإسراء: ٢٩.
- ٦٥ الحال خبر ثان، قال الجرجاني: ((الخبر ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه، وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر... هو الحال)). الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٢١٣.
- ٦٦ الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط ٣، (د.ت): ٢٣٤-٢٣٥.
- ٦٧ سورة يوسف: ١٦.
- ٦٨ ظ: سيبويه، الكتاب: ١/ ٤٨٥، هامش<sup>(١)</sup>.
- ٦٩ سيبويه، الكتاب: ١/ ٤٨٤.
- ٧٠ الأصول في النحو، ابن السراج: ٦٣/١.
- ٧١ اللجنة مصطلح تقني كاشف عن الاسم المعرفة الذي يُستعمل فاعلاً أو مبتدأ، وهو لا يعصم من الخطأ. ظ: ابن السراج. ظ: الأصول في النحو: ٦٣/١.
- ٧٢ ديوان الخطيئة، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم، بيروت، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م): ٢٧٧.

## تومان غازي الخفاجي: معاني أبنية (الفعل/الخبر) في الجملة العربية الخيرية البسيطة

- ٧٣ ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب وزميله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، (د.ت): ١٢/ ١٧٣، (كنن).
- ٧٤ رفض الألوسي أن تكون (اللام وعلى) حروف جر تنتج تركيباً ظرفياً خبراً، وجعل (اللام) في (الحمد لله) للحقيقة وقال: ((يراد بها أكمل أنواعها)). الألوسي، أبو الفضل محمد (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني، تحقيق محمد أحمد أمين وزميله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م): ١/ ١٠٠.
- ٧٥ الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٧٢-٧٣.
- ٧٦ سورة البقرة: ٧٤.
- ٧٧ سورة النمل: ٨٨.
- ٧٨ القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تلخيص المفتاح، تحقيق د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م): ١٤٨.
- ٧٩ سورة المعارج: ٩.
- ٨٠ سورة القارعة: ٥.
- ٨١ سورة الحج: ٤٠، سورة فصلت: ٣٠، سورة الأحقاف: ١٣.
- ٨٢ سورة الشورى: ١٥.
- ٨٣ سورة فصلت: ٣٠.
- ٨٤ سورة الأحقاف: ١٣.
- ٨٥ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م): ٤/ ٢٠٤.
- ٨٦ سورة الحج: ٣٩-٤٠.
- ٨٧ نحو قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) سورة آل عمران: ٦٤.
- ٨٨ سورة الشورى: ١٥.
- ٨٩ سورة هود: ٤٥-٤٦.
- ٩٠ معاني الأبنية في العربية: ٣٦.
- ٩١ البيت من شواهد سيبويه، الكتاب: ١/ ١٧١، ابن جني، الخصائص: ١/ ١٢٠، شرح ابن عقيل: ١/ ٢٨٩.
- ٩٢ ابن السراج، الأصول في النحو: ١/ ١١٦، ظ: ابن مالك، شرح التسهيل: ٢/ ١٠٧.

